جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراســـات العليا

القوة في القرآن الكريم

إعداد
رائد عبد الرحيم عاصي

إشراف
الدكتور عودة عبد الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكليـــة الدراســـات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2009

" القوة في القران الكريم "

إعداد

رائد عبد الرحيم عاصي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : 2009/4/16م وأُجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور عودة عبدالله (مشرفاً و رئيساً)	____________
الدكتور خالد علوان (ممتحناً داخلياً)	____________
الدكتور حلمي عبد الهادي (ممتحناً خارجياً)	____________

الإهداء

إلى صاحب اليد البيضاء ... أبي (رحمه الله ، واسكنه الفردوس الأعلى)

إلى بسمة الأمل في هذه الحياة ، والتي لها الفضل علي بعد الله في مواصلة

تعليمي الجامعي ... أمي الحبيبة ، حفظها الله .

إلى زوجتي الغالية التي تحملت معي عناء الترقب والانتظار، من غير ضجر

أو ملل ، وهيأت لي الظروف المناسبة للبحث والدراسة .

إلى من قصرت في حقهم فترة الدراسة ... أبنائي وبناتي ، مهجة

قلبي ، وفلذة كبدي .

إلى إخواني وأخواتي ...

إلى كل أقاربي ومن يهمهم أمري ...

إلى جميع الدعاة الذين يحملون مصابيح الهدى والنور ، ويجوبون البلاد

شرقا وغربا لتبليغ هذا الدين وإعزازه ، وإعلاء كلمته ، عملا بقول

الله سبحانه وتعالى :

{ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ }(**يوسف:108**)

إليهم جميعا : أقدم هذا الجهد ... حبا ووفاءً

شكر وتقدير

عظيم الشكر والحمد لله تعالى ، على جزيل نعمائه ، وكثير فضله ، بما يسره لي من نعم لا تحصى ، وخير وعطاء كثير ، وعلى رأسها نعمة الإسلام الحنيف .

واعترافا لذوي الفضل بفضلهم ، لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر ، وعظيم العرفان إلى كل من له دور في إخراج هذه الدراسة على صورتها النهائية .

وأخص بالشكر والامتنان ، أستاذي الفاضل ، الدكتور : عودة عبدالله - حفظه الله – الذي تكرّم بالإشراف على هذه الرسالة ، ولم يأل جهدا في تقديم النصح والإرشاد ، والتوجيه لي ، طيلة فترة البحث ، فجزاه الله عني كل خير ، ونفع به الإسلام والمسلمين .

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل ، أعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور خالد علوان .

والدكتور حلمي عبد الهادي .

على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وعلى ما بذلوه من جهد وعناء في قراءتها ، وتدقيقها ، وتخليصها من الشوائب والأخطاء من أجل الارتقاء بهذا العمل ، وخروجه بأفضل صورة ، فجزاهم الله عني كل خير .

وأتقدم بكل الشكر والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة في جامعة النجاح ، لما بذلوه من توجيه ونصح ، خلال مدة الدراسة ، فجزاهم الله عني خير الجزاء .

ولا يفوتني في هذا المقام أن اشكر أخي الفاضل : الشيخ أحمد عمر عاصي ، على ما قدمه لي من مساعدة وتوجيه خلال كتابة هذه الرسالة ، فجزاه الله عني كل خير .

واشكر كل من ساعدني في طباعة هذه الرسالة ، وأخص بالذكر أخوات زوجتي .

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان :

القوة في القران الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص ، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد ، وأن هذه الرسالة ككل ، أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis , unless otherwise referenced , is the researcher's own work , and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name :	**اسم الطالب :**
Signature :	**التوقيع :**
Date:	**التاريخ :**

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر	د
الإقرار	هـ
قائمة المحتويات	و
ملخص الدراسة	ط
الفصل التمهيدي	1
مقدمة	2
الفصل الأول مفهوم القوة ودلالاتها في السياق القرآني	9
المبحث الأول : معنى القوة في اللغة والاصطلاح	10
أولا: معنى القوة في اللغة	10
ثانيا: معنى القوة في الاصطلاح	14
المبحث الثاني : القوة ودلالاتها في السياق القرآني	16
أولا: معنى القوة في السياق القرآني	16
ثانيا: المفردات القريبة من معنى القوة في القرآن الكريم	19
الفصل الثاني القوي اسم من أسماء الله تعالى	23
المبحث الأول : القوة صفة من صفات الله تعالى	24
أولا : قوة الله تعالى المطلقة	24
ثانيا: أسماء أخرى تتعلق بقوة الله تعالى المطلقة ، مع بيان المعنى الخاص لكل اسم	25
المبحث الثاني: الأسماء المقترنة باسم الله تعالى (القوي)	27
أولا: اقتران اسم الله القوي بالعزيز	27
ثانيا: اقتران اسم الله القوي بالمتين	28
المبحث الثالث: مظاهر قوة الله تعالى في الدنيا والآخرة	30
أولا: نصره للأنبياء وأتباعهم رغم بطش أعدائهم	30
ثانيا: رزقه لعباده دون مقابل أو طلب معونة	31
ثالثا: حفظه للنعم واستمرارها لمن أطاعه	33

رابعا:أطوار خلق الإنسان من الضعف إلى القوة ومن القوة إلى الضعف	34
خامسا: جنود الله لا حصر لها تنتقم ممن عصاه من الأمم السابقة والحاضرة	35
سادسا: شدة العذاب في الآخرة للمشركين والرحمة بالمؤمنين	38
المبحث الرابع: حاجة الأمة في هذا الزمان إلى استشعار قوة الله تعالى	40
أولا: استشعار قوة الله تعالى يعطينا القوة	40
ثانيا: أهمية الدعاء باسم الله تعالى (القوي)	42
الفصل الثالث أنواع القوة الرئيسة	45
المبحث الأول: القوة المعنوية "قوة القلب "	46
أولا: أخذ التكاليف بيقين والعمل بها بقوة وعزيمة	46
ثانيا: الثبات على هذه التكاليف	48
ثالثا : تبليغ الناس لهذه التكاليف	49
رابعا: أخذ هذه التكاليف بالكلية والشمولية	50
المبحث الثاني: القوة المادية " قوة البدن "	53
أولا: قوة الإنسان المجردة	53
ثانيا : قوة الإنسان المقترنة بالعلم والأمانة	54
ثالثا : قوة الملائكة	56
رابعا : قوة الجن	57
الفصل الرابع أسباب ومصادر القوة	60
تمهيد	61
أولا: الاعتصام بالله	62
ثانيا: كثرة الاستغفار والتوبة	63
ثالثا: الاجتماع وعدم التفرق	64
رابعا: المشورة	65
خامسا: الصبر	67
سادسا: الإعداد للقوة الرادعة	68
سابعا: المعونة الخارجية	70
ثامنا: تسخير ما في الأرض من قوة ومنافع في المعادن لصالح الإنسانية	72
الفصل الخامس آثار القوة	75

المبحث الأول : آثار القوة في الخير	76
أولا: حماية الدين والأمة وإرهاب الأعداء	76
ثانيا: الرحمة بالمؤمنين والغلظة على الكافرين	78
ثالثا: التضحية في سبيل قوة ونشر هذا الدين	80
رابعا: العزم وعدم التردد	82
المبحث الثاني : آثار القوة في الشر	84
أولا: الاغترار بقوة الجاه والسلطان وسوء العاقبة	84
ثانيا: الاغترار بقوة المال وسوء العاقبة	86
ثالثا: الاغترار بالعدد والعدة	88
الفصل السادس نماذج قرآنية للقوة	91
تمهيد	82
المبحث الأول: نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الخير	83
أولا: القوة في شخصية موسى عليه السلام	83
ثانيا: القوة في شخصية ذي القرنين	98
المبحث الثاني: نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الشر	102
أولا : القوة عند فرعون صاحب الأوتاد	102
ثانيا: قوة عند قوم عاد	107
الخاتمة	111
قائمة المصادر والمراجع	115
Abstract	b

القوة في القرآن الكريم

إعداد

رائد عبد الرحيم عاصي

إشراف

د. عودة عبدالله

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

موضوع هذه الدراسة **القوة في القرآن الكريم** ، له مساس كبير بحياة الناس ، فهو يدخل في جميع نواحي وشؤون الحياة ، فمعنى القوة يكاد يكون واحدا في كل اللغات حيث يدور في إطار مفهوم القدرة على الفعل والاستطاعة والطاقة والنمو والحركة وهي ضد الضعف ، وتعني أيضا قدرة التأثير والنفوذ والسلطة ، لهذا بينت الدراسة المقصود من مفهوم القوة ودلالاتها في السياق القرآني ، والمفردات القريبة من معنى القوة في القرآن الكريم . وكذلك إبراز الحديث عن قوة الله تعالى ، في زمان يدعي فيه الكثيرون أنهم يملكون القوة والجبروت لإخضاع المستضعفين في الأرض.

وكذلك التعرف على الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق القوة الراشدة ، منعا للانفلات والعنف الأهوج ، فالقوة ليست محصورة في الجسد، بل إن هناك قوى أخرى ، كالقوة الروحية ، والأخلاقية ، والنفسية ، والجماعية ، التي نحن بحاجة إليها ، إلى جانب القوة المادية ، فقد بينت الدراسة أسباب وعناصر القوة الحقيقية ، التي تصل بالأمة إلى مبتغاها من العزة والكرامة والسيادة والريادة والرفعة ، والتمكين في الأرض ، مما جعلنا نتعرف على النتائج المحمودة في استعمال القوة في الخير والبناء ، وعلى العواقب الوخيمة التي تنتظر الظالمين الذين أساءوا استخدام القوة ، من خلال عرض النماذج التاريخية الدامغة من القصص القرآني .

الفصل التمهيدي

الإطار المنهجي للرسالة

أولا : المقدمة

ثانيا : أهمية الدراسة

ثالثا : مشكلة الدراسة

رابعا : الأسئلة التي ستحاول الدراسة الإجابة عنها

خامسا : أهداف الدراسة

سادسا : الجهود السابقة

سابعا : منهج الدراسة

ثامنا : خطة البحث

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الهادي إلى الدين القويم والصراط المستقيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من اهتدى بهديه وسلك سبيله إلى يوم الدين وبعد:

كثيرة هي العلوم التي قيل فيها إنه لم يبق للاحقين ما يضيفونه إلى ذلك العلم .أما علوم القرآن فإنها ، رغم تكاثر البحوث فيها ، قديما وحديثا ، ما زالت تمد الباحثين والقارئين بفيض غامر لا ينضب من المعاني التي تؤكد إعجاز هذا الكتاب العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولعل من أجل العلوم وأعظمها علم التفسير، لارتباطه بكتاب الله - عز وجل - ومن أنواع التفسير الذي أصبح العلماء المعاصرون يولونه اهتماما خاصا ، التفسير الموضوعي للقرآن ، وهو لون جديد في التفسير ، اقتضت الحاجة إليه ، لشيوع عنصر التخصصات في هذا الزمان ، وهدف التخصص ؛ الحصول على التفاصيل في العلوم والمعارف للتجاوب مع كثير من المستجدات الحديثة .

ومن خلال التفسير الموضوعي للقرآن أصبحنا نجد الكثير من الإجابات الشافية للمستجدات الحديثة ، كما أننا نخرج بتصور شامل وكامل للموضوع الواحد ، وذلك يمنع الأفراد والمجتمعات من الفهم المحدود والناقص للموضوع ، وهذا بحد ذاته هو عصمة لنا جميعا من السلوكيات الخاطئة والقاصرة .

وهذه الدراسة التي أطلق عليها الباحث عنوان " القوة في القرآن الكريم " من الأهمية بمكان ، لارتباطها ودخولها في جميع نواحي وشؤون الحياة ، والتأثير على المصير في الآخرة ، وطرحها في هذه الفترة بالتفاصيل أمر ضروري ، كي نذكر الأقوياء من الأفراد والشعوب ، أن يوجهوا قواتهم وقدراتهم لبناء الحضارة الإنسانية ، على أسس من التعارف الإنساني ، والتعاون المتبادل بين جميع الطاقات والقدرات ، للوصول إلي الحياة الكريمة والآمنة ، وأنه لا ينبغي الاغترار بالقوة والاستقلال بها عن الغير، فإن فتح باب التعاون والتبادل في الطاقات والقدرات الإنسانية المتعددة ، يصب في مصلحة الجميع ، كما أن هذا السلوك هو من باب شكر الله على نعمة القوة بمفهومها العسكري ، والسياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي، والأخلاقي ، والإنساني .

فالقوة هبة من الله تعالى ونعمة ، ينبغي أن تستعمل فيما يجلب الخير والنفع للبشرية ، فهناك نماذج لأفراد ومجتمعات استخدموا القوة بالحسنى ، فأجادوا وأبدعوا ، وهناك على النقيض من

ذلك ، ممن أساءوا استخدام نعمة القوة ، فأفسدوا وأهلكوا الزرع والنسل ، فكانت العاقبة أن أصابهم بطش الله الذي ينتقم للمظلومين . والقرآن يدعو المسلم أن يكون قويا ، و أن تكون الأمة المسلمة أمة قوية ، وأن تملك القوة بكل جوانبها ، المعنوية والمادية .

فالقوة المعنوية : هي قوة الروح بالإيمان واليقين والصدق والخلق ، لأن وتيرة الحياة ، لا تسير على نسق واحد ، فأحداث الحياة متغيرة ، ولا بد للأمة أن تتسلح بأسباب القوة والتمكين ، ومواجهة كل التحديات والمتغيرات ، وأول هذه الأسباب وأساسها هي القوة الروحية ، لأن الإنسان لو كان معه أسلحة الأرض كلها ، وكان ضعيف الإرادة والإيمان في معتقداته ومبادئه وقيمه ، فإن أسلحته وحدها لا تكفي على المدى البعيد لتحقيق أهدافه ومراده . بعد ذلك تأتي القوة المادية كقوة الجسد والمال ، والله سبحانه وتعالى لم يعط هذه القوة قيمة إذا كانت مجردة ، وأعطى لها الأهمية إذا كانت مقرونة بالأمانة والعلم ، ووظفت في طرق الخير ومنفعة الناس .

إن رسالتنا عن القوة لا شك أن لها صلة بواقعنا المعاصر، وبالتطلعات التي نتطلع إليها لاستخدام القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والعلمية مقرونة بالقوة الأخلاقية والإنسانية لتكون حامية لها من الإفساد والتدمير ، بعيدا عن الفوضى ، والتعصب والضياع.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة ، في اهتمام القرآن الكريم بها ، لما لها من ارتباط بواقع حياة الناس ، في كيفية التعامل مع شتى شؤون الحياة ، والتي يترتب عليها السعادة في الدنيا والآخرة.

فالقوة شيء محمود ، وأمر مطلوب ، وهي صفة تتعلق بها النفس البشرية وتحبها والإنسان حينما يأخذ أموره بحزم ، وينجز أعماله ، ويدير شؤونه بقوة ، فإنه منجز كثيرا مما يريد ، سواء في ذلك القوة الفكرية ، والعلمية ، أو القوة المادية .

فالبدن القوي، والرأي القوي، والشخصية القوية، والدولة القوية التي تحفظ كيانها، وتنهض بقدراتها، كلها أمور مستحبة ، ومعلوم أن وجه الاستحباب والاستحسان، هو في كون القوة موظفة في طرق الخير ، والمنفعة للنفس ، والناس أجمعين.

وهذه سنة إلهية من السنن التي تبنى عليها الحياة الكريمة ، حيث لا وصول إلى مناعة ، إلا بالمحافظة على القوة الذاتية أو بالمعونة الخارجية الضرورية ، حيث الحاجة إليها ، كقول الله تعالى على لسان لوط عليه السلام : { قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً }(هود:80) ، كما أنه لا وصول إلى حق إلا بالتمنع بالقوة النافذة ، وما فتئت أمم الدنيا ودولها تعد لنفسها القوة بمختلف الأساليب

والأنواع ، حسب ظروف الزمان والمكان ، وعصرنا الحاضر تفتقت أذهان أبنائه عن أنواع من القوى ، وأساليب من الاستعداد ، فاقت كل تصور .

ونحن -المسلمين – ينبغي أن يكون لنا كياننا الذاتي المستقل فكريا وسلوكيا ، واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، هذا الكيان الذي يستمد قيمه ومبادئه من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف ، الذي رسخ مفهوم القوة في الوجدان والعقل ، كأساس الحياة الكريمة والعصية على التراخي ، والتخاذل أمام تسلط الباطل وأهله ، وفي نفس الوقت حد حدودا ، حتى لا يخرج المسلمون عن حدود الاستعمال المحمود للقوة ، إلى الظلم والعدوانية ، وقول الله تعالى: { وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ }(البقرة: 190) ، سقف يستظل بظله المسلمون ، حتى يحافظوا على توازنهم واعتدالهم وسمو رسالتهم الخالدة .

مشكلة الدراسة

وردت كلمة القوة ومشتقاتها في القرآن الكريم (42) اثنتين وأربعين مرة ، في مواضيع مختلفة ومتنوعة ، فتارة تستعمل في القدرة الإلهية ، نحو قوله تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ } (الحديد:25) ، وتستعمل تارة في القلب ، نحو قول الله تعالى :{ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ } (مريم:12) وتستعمل تارة في البدن ، نحو قوله تعالى:{وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً }(فصلت:15) { فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ }(الكهف:95) ، وتستعمل في المعاون من خارج ، نحو قوله تعالى : { لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً }(هود:80) ،وتارة بمعنى الضعف ، نحو قوله تعالى:{ تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ } (الواقعة:73) .

وهذه المعاني أخذت من المعاجم اللغوية ، كمعجم ابن فارس ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن وغيرها من المعاجم . وتقف أمامنا تحديات لدراسة هذه المعاني وفق ما وردت في القرآن الكريم ، وإنزالها على جميع الآيات التي لها علاقة مباشرة بالقوة ، من أجل الجمع بينها ، للوصول إلى وحدة موضوعية واحدة .

وستحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية :

1- ما معنى القوة لغة واصطلاحا ، وما دلالاتها في السياق القرآني ؟

2- ما هي المتعلقات والآثار المحسوسة لاسم الله القوي ؟

3- ما هي أنواع القوة الرئيسة في القرآن الكريم ، وتطبيقاتها على الحياة والأحياء ؟

4- ما هي الطرق والأسباب التي نحتاجها للوصول إلى القوة الراشدة ؟

5- ما هي الفوائد التي يجنيها الناس من توظيف القوة في الخير، والمضار التي تلحق بهم عند توظيف القوة في الشر ؟

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- إبراز قوة الله تعالى في زمان يدعي فيه الكثيرون أنهم يملكون القوة والجبروت لإخضاع المستضعفين في الأرض. فهذه الدراسة هي وسيلة لتنشيط الذهنية الإسلامية ، أن الله هو القوي وأن قوة الظالمين هي ما دون قوة الله ، وأنها وقتية ومرحلية ، وهي إلى زوال بإذن الله تعالى

2- التعرف على أن القوة ليست محصورة في الجسد ، بل إن هناك قوى أخرى ، كالقوة الروحية ، والأخلاقية ، والنفسية ، والجماعية ، التي نحن بحاجة إليها ، إلى جانب القوة المادية لأجل تحقيق العبادة في الأرض .

3- التعرف على تفصيلات معاني القوة ، حتى لا تفهم القوة فهما خاطئا ومن زاوية واحدة ، ونحن اليوم في أمس الحاجة لتوضيح هذه المعاني للقوة ، بسب الأوضاع المحلية والعالمية المعاصرة ، حيث اختلفت المفاهيم وانقلبت الحقائق والموازين .

4- التعرف على الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق القوة الراشدة .

5- التعرف على النتائج المحمودة في استعمال القوة في الخير والبناء ، وعلى العواقب الوخيمة التي تنتظر الظالمين من خلال النماذج التاريخية الدامغة .

6- التعرف على الضوابط في استعمال القوة ، منعا للانفلات والعنف الأهوج .

الدراسات السابقة

لم يقع بين يدي بحث أو كتاب قد تخصص بالذات في موضوع القوة ، وتفصيل مضامينها على ضوء التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، بسبب حداثة هذا اللون من التفسير ، وإن كان المفسرون ، أمثال شيخ المفسرين ، الإمام الطبري في تفسيره "جامع البيان في تأويل آي القرآن " والعلامة الزمخشري في تفسيره "الكشاف" ، وغيرهما ، قد تناولوا معنى القوة من خلال ورودها في الآيات .

وكذلك بعض المؤلفين المحْدثين ، كالشيخ سيد سابق في كتابه (عناصر القوة في الإسلام) ،

والباحث غازي المغلوث في رسالته (القوة في الإسلام) ،وغيرهما ، قد تحدثوا عن القوة من منطلقات فكرية ، وجهادية بشكل عام ، ولم يدخلوا في تفصيلات ومدلولات كلمة (القوة) ، كوحدة موضوعية متخصصة .

كما ونجد بعض الباحثين قد تناولوا هذا الموضوع في دراسة قرآنية جزئية ، كالدكتور عبد السلام اللوح والاستاذ ضيائي نعمان السوسي ، في دراسة لهما بعنوان (القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل) ، وركزا فيها على موضوع الصراع بين الحق والباطل ، مع ضرب الأمثلة القرآنية بأن الغلبة في النهاية لأهل الحق . وبعض الباحثين ، كالمؤلف عبد الهادي عبد الرحمن ، تحدث في كتابه (جذور القوة الإسلامية ، قراءة نقدية لتاريخ الدعوة الإسلامية) ، عن جذور القوة الإسلامية ، وتأثيرها على الدعوة الإسلامية عبر التاريخ ، وأن الدعوة الإسلامية ترقت وسمت عندما طبق المسلمون تعاليم الإسلام وأخذوا بأسباب القوة .

من كل ما سبق يظهر لنا جليا ، جهود علماء المسلمين ، قديما وحديثا ، في إبراز وتجلية الكثير من الموضوعات المهمة ، التي تبين عظمة هذا الدين ، وحاجة الناس جميعا إليه ، وبينوا البلسم الذي يعيد الأمة إلى جادة الصواب ، والرفعة في الدنيا والآخرة ، إلا أن هذه البحوث قد تركزت على جوانب خاصة من البحث العلمي ، كالجهاد وخصوصا القتال ، أو عن القوة الإيمانية وأهميتها ، أو عن أسماء الله الحسنى ، أو علوم بحتة ، مثل الشجاعة أو الدعوة أو النفس أو العقل أو غير ذلك .

وهذه الدراسة القرآنية ، لم يسبق إليها أحد بهذا التفصيل ، رغم كثرة البحث والتنقيب ، وهذا يتطلب جهدا مضاعفا ، ولكن بعون الله تعالى ، جاءت هذه الدراسة ، شيقة ومتميزة ، وشاملة لجميع ما يتعلق بموضوع القوة في المنظور القرآني ، لتعطينا الكثير من الحلول في هذا الزمان الذي تشعبت فيه الأهواء ، واضطربت فيه الأحوال ، وابتعد الكثيرون عن المنبع الصافي .

منهجية الدراسة

لقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الاستقرائي التحليلي المقارَن ، وقد اتبعت لتحقيق هذه الغاية ، الخطوات الآتية :

1- لقد قمت بجمع كل الآيات التي وردت فيها كلمة (القوة) وعزوتها إلى سورها .

2- ثم رجعت إلى أمهات التفسير التحليلي ، للوقوف على معنى الآيات ، مستنبطا منها ما استطعت من الموضوعات التي لها علاقة بالقوة ، مع الانتباه لسياق الآيات .

3- ثم جعلت كل الآيات التي ترتبط بمعنى موضوعي واحد ، تحت عنوان واحد ، وربطت بينها بصورة متسلسلة ، في وحدة موضوعية متصلة بمحور الدراسة .

4- قمت باستنباط التوجيهات والدروس من الآيات القرآنية ، مع مقارنتها وربطها بالواقع الحالي للأمة الإسلامية ، وذلك للإفادة في تطبيقها في الواقع العملي في حياة الناس .

5- قمت أيضا بذكر الأحاديث الصحيحة التي لها علاقة مباشرة في الآيات التي تناولت موضوع القوة ، وعزوت هذه الأحاديث إلى مصادرها ، فإذا كانت في الصحيحين نسبتها لهما ، وإن كانت من مصادر أخرى ذكرت حكم أحد علماء الحديث عليها .

6- وأخيرا جعلت للدراسة خاتمة ضمنتها الاستنتاجات والتوصيات التي خلصت إليها .

خطة الدراسة

تشتمل هذه الدراسة على: مقدمة ، وستة فصول ، وخاتمة ، وذلك على النحو التالي :

الفصل الأول : مفهوم القوة ودلالاتها في السياق القرآني

المبحث الأول : معنى القوة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : القوة ودلالاتها في السياق القرآني

الفصل الثاني : القوي اسم من أسماء الله تعالى

المبحث الأول : القوة صفة من صفات الله تعالى

المبحث الثاني: الأسماء المقترنة باسم الله تعالى(القوي)

المبحث الثالث: من مظاهر قوة الله تعالى في الدنيا والآخرة

المبحث الرابع: حاجة الأمة في هذا الزمان إلى استشعار قوة الله تعالى

الفصل الثالث :أنواع القوة الرئيسة

المبحث الأول: القوة المعنوية "قوة القلب"

المبحث الثاني: القوة المادية " قوة البدن"

الفصل الرابع :أسباب ومصادر القوة

المبحث الأول: الاعتصام بالله

المبحث الثاني: كثرة الاستغفار والتوبة

المبحث الثالث: الاجتماع وعدم التفرق

المبحث الرابع: المشورة

المبحث الخامس : الصبر

المبحث السادس: الإعداد للقوة الرادعة

المبحث السابع : المعونة الخارجية

المبحث الثامن : تسخير ما في الأرض من قوة ومنافع في المعادن لصالح الإنسانية

الفصل الخامس : **آثار القوة**

المبحث الأول : آثار القوة في الخير

المبحث الثاني : آثار القوة في الشر

الفصل السادس : **نماذج قرآنية للقوة**

المبحث الأول: نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الخير

المبحث الثاني: نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الشر

وأخيرا : هذا الجهد المستطاع ، فإن وفقت فبفضل الله تعالى ، وإن كانت الثانية ؛ فمن عجــزي وتقصيري ، سائلا المولى عز وجل أن يغفر لي .

وها أنا أضع جهدي بين يدي أساتذتي الأفاضل ، ليسدوا الخلل ، وليبينــوا الزلــل ، وأســال الله تعالى بمنه وكرمه ، أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة .

الفصل الأول

مفهوم القوّة ودلالاتها في السياق القرآني

المبحث الأول : معنى القوة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني : القوة ودلالاتها في السياق القرآني

المبحث الأول: معنى القوة في اللغة والاصطلاح

أولا : معنى القوة في اللغة

1- معنى القوة عند ابن فارس :

يرى ابن فارس أن "القاف والواو والياء أصلان متباينان ، يدل أحَدُهُما على شدة وخلاف ضعف ، والآخر على خلاف هذا وعلى قلة خير . فالأول القوَّة ، والقويّ : خلاف الضعيف ، وأصل ذلك من القُوَى ، وهي جمع قوة من قُوَى الحبل ، والمُقْوِي : الذي أصحابه وإبله أقوياء ، والمُقوي : الذي يقوي وتره ، ورجل شديد القُوَى ، أي شديد أَسر الخلق .

والأصل الآخر ، القَوَاء : الأرض لا أهل بها ، ويقال : أقْوَت الدار ، خلت ، وأقوى القوم ، صاروا بالقَوَاء والقِيِّ ، ويقولون بات فلان القَوَاء وبات القَفْر ، إذا بات على غير طُعم ، والمقوي:الرجل الذي لا زاد معه. وهو من هذا ، كأنه قد نزل بأرض قِيٍّ [1] .

الأصل الأول الذي ذكره ابن فارس هو الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم ، وهو الذي يفيد الشدة والقوة بكل أشكالها الدنيا والقصوى ، فعند الحديث عن قوة المخلوقات فلا شك أن القوة هنا متفاوتة ، وأما عند الحديث عن قوة الله تعالى ، فالقوة هنا مطلقة لا حدود لها .

وأما الأصل الثاني الذي ذكره ابن فارس عن معنى القوة ، وهو الذي يفيد الفقر والجوع وقلة الخير، فلم يستعمل في القرآن إلا مرة واحدة في كلمة (المقوين) ، في قوله تعالى : {وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ }(الواقعة:73)

2- معنى القوة عند الراغب الأصفهاني :

القوة تستعمل تارة في معنى القدرة ، نحو قوله تعالى:{ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ }(البقرة:63) وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء ، نحو أن يُقال : النَّوَى بالقوة نخل ، أي متهيئ ومُتَرَشِّح أن يكون منه ذلك . ويستعمل ذلك في البدن تارة ، وفي القلب أخرى ، وفي المعاون من خارج تارة، وفي القدرة الإلهية تارة . ففي البدن نحو قوله :{ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً }(فصلت: 15)

---

[1]- ابن فارس، أحمد بن حبيب الرازي ، ت 395هـ: **معجم مقاييس اللغة** ، (بيروت الجيل ، ط1: دار ،1991م)، 5 /36 .

وقوله : { فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ }(الكهف:95) . فالقوة هاهنا قوة البدن ، بدلالة أنه رَغِب عن القوة الخارجية فقال : { مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ }(الكهف:95) . وفي القلب نحو قوله :{ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ } (مريم:12) ، أي بقوة قلب . وفي المعاون من خارج نحو قوله : { لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً }(هود:80) ، قيل : معناه من أتقوى به من الجند ، وما أتقوى به من المال ، ونحو قوله: { نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ }(النمل :33) .وفي القدرة الإلهية نحو قوله : { إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ }(الحديد:25)[1] .

ويُلحظ في تعريف الراغب الأصفهاني أنه أضاف معنى القدرة للقوة ، وهناك القدرة الإلهية المطلقة ، والقدرة البشرية التي تظهر في أبدانهم وقلوبهم ، وتوجد فروق واضحة بين القدرتين ، فالقدرة الإلهية قدرة مطلقة لا حدود لها ، بينما القدرة البشرية فهي بدأت ضعيفة ، ثم تصاعدت

مع الوقت لأسباب عديدة ، منها ما هو ذاتي خلقه الله في الإنسان ونما مع الوقت ، ومنها ما هو مكتسب من القوى المعاونة الأخرى.

ويمكن القول إن الراغب الأصفهاني تحدث عن القدرة البشرية كجهد بشريّ يمكن تطويره بناء على الطاقة التي يمكن للإنسان أن يبذلها في حدوده المستطاعة للوصول إلى القدرة والقوة في البدن والقلب والعقل والروح ، وأما ابن فارس فإنه تحدث عن القوة كشيء حاصل وموجود وملموس .

3- معنى القوة عند السمين الحلبي :

تحدث السمين الحلبي عن معاني القوة كما تحدث عنها الراغب الأصفهاني ، إلا أنه أضاف معنى جديداً للقوة ، وهو العزيمة والجدية ، وهذا المعنى هو معنى نفسي ، أي أن العزم والجدية ، إنما ينطلقان من داخل النفس ، ثم تأتي بعد ذلك الآثار السلوكية لهذا العزم . يقول :

[1]- الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ، ت 503 هـ : **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م) ، ص 467-468 .

"والقوة تستعمل تارة في معنى القدرة ، نحو : { خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَـٰكُم بِقُوَّةٍ } (البقرة:63) ، وقيل بعزيمة وجد[1] .

4- معنى القوة عند ابن منظور :

أضاف ابن منظور معنى آخر وهو قوة الحجة والبيان . ويذكر مثالاً لذلك من القرآن الكريم هو قوله تعالى لموسى عليه السلام عندما أخذ الألواح :{ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٍ }(الأعراف:145) ؛ أي خذها بقوة في دينك وحجتك[2] .

بالنظر في المعنى اللغوي للقوة ، وفي استعمالاتها ، نستخلص اللطائف والإيحاءات التالية:

1- القوة إذا كانت متعلقة بالله سبحانه وتعالى فهي قوة ذاتية مستقلة مطلقة ،لا أول لها ولا آخر.

2- القوة إذا كانت متعلقة بالإنسان ، فهي على ثلاثة أنواع :

الأول : القوة البدنية المخلوقة في ذات الإنسان ، وهذه قابلة للتوسع والتصاعد بالتدرج مع الوقت ، وكذلك مع تدرب الإنسان على تطويرها وتوسيعها وفق الحدود البشرية .

الثاني: القوة الداخلية التي تشمل النفس والروح والعقل والقلب ، وهذه القوة أساسية ومهمة للإفادة من قوة البدن والأعضاء ، وتوظيفها في الأهداف الخيّرة .

الثالث : القوة المكتسبة من الآخرين ، نحو قوله تعالى:{ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ }(الكهف:95) ، فالإنسان مهما كان حاله ، فهو بحاجة إلى العون من قدرات وطاقات ومكتسبات الآخرين للوصول إلى تحقيق الأهداف الإنسانية والحياتية والمدنية للعيش الكريم والعزيز ، فإن بعض الجمادات تتصاعد قوتها وتظهر بفضل الله أولاً ، ثم بفضل التصنيع البشري الذي استخدمه الإنسان لإظهار القدرات والفوائد الفاعلة التي يمكن اكتشافها في تلك الجمادات المتطورة .

---

[1] - السمين الحلبي، أحمد بن يوسف ، ت 756هـ : **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 ،1996م) ، 3 /358-359 .

[2] - انظر : ابن منظور ، جمال الدين محمد الأفريقي المصري، ت 711 هـ : **لسان العرب** ، (بيروت : دار صادر ، ط3 ،1994م) 15/ 207-212 ، وانظر بهذا المعنى : الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، ت 311هـ : **معاني القرآن وإعرابه** ، تحقيق : د.عبدالجليل عبده شلبي، (القاهرة : دار الحديث ،ط2، 1997م) 2/375 .

3- كما أن القوة تأتي بمعنى الشدة ، فإنها تأتي على خلاف ذلك ، أي بمعنى الفقـر، والجـوع وقلة الخير، كما أوردها ابن فـارس فـي معجمـه عنـدما تحـدث عـن قـول الله تعـالى: {وَمَتَـٰعًا لِّلۡمُقۡوِينَ }(الواقعة 73) .

وبناءً على هذا فإنّ مصطلح (مقوين) هو من الكلمات التي تسـتعمل بمعنيـين متضـادّين ، وذلك حسب ورودها وموقعها في السياق .

المعنى الأول : أنّ (مقوين) من مادّة (قِوَاء) بمعنى الصحراء اليابسة المقفـرة ، والتـي تـدل على قلة الخير، ولهذا أُطلقت كلمة (المقوين) على الأشخاص الذين يسيرون فـي الصـحاري ، ولأنّ أفراد البادية فقراء ، لذا فقد جاء هذا التعبير بمعنى الفقير أيضاً[1].

المعنى الثاني : أنّ (مقوين) من مادّة (قُوّة) بمعنى أصحاب القوّة، جاء في تفسير الشـوكاني : " قال قطرب[2] :(القوى) من الأضداد يكون بمعنى الفقر، ويكون بمعنى الغنى؛ يقال: أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد، وأقوى: إذا قويت دوابه وكثر ماله[3]

وجاء في تفسير الطبرسي "وعلى هذا فيكون المقوي من الأضداد ، فيكون المقـوي الـذي صار ذا قوة من المال والنعمة ، والمقوي أيضاً الـذاهب مالـه النـازل بـالقواء مـن الأرض، فالمعنى: ومتاعاً للأغنياء والفقراء[4] .

---

[1]- انظر : الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن** ، ص468 . الألوسي ، أبو الفضل ، شهاب الدين محمود البغدادي ،ت1270 هـ : **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ،(بيروت : دار إحيـاء التـراث العربـي) ، 150/27.

[2]- هو الإمام أبو علي محمد بن المستنير ، النحوي اللغوي البصري، أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلمـاء البصريين، وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يوما: ما أنت إلا قطرب ليل، فبقي عليـه هـذا اللقب، وقطرب: اسم دويبة لا تزال تدب ولا تفتر، وكان من أئمة عصره . من مؤلفاته : "معاني القرآن" و "الأضداد " ، توفي سنة 206 هـ . انظر: ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : إحسان عباس، (بيروت : دار صادر) ، 312/4 . الزركلي ، خير الدين : **الأعـلام** ، (بيـروت : دار العلـم للملايين ، ط:17 ، 2007م) ، 95/7 . وانظر : ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي ، ت852هـ : **لسان الميـزان** ، (بيروت : مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، ط3 ، 1996م) ، 5/ 378 .

[3] - الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ،1250 هـ : **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، (بيروت: دار الفكر) ، 159/5.

[4]- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، 548 هـ : **مجمع البيان فـي تفسـير القـرآن** ، (صـيدا : العرفـان ، 1333 هـ) ، 224/9 . وانظر : الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيـب البصـري البغـدادي ، 450هـ: **تفسير النكت والعيون** ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، 226/4. السجستاني ، أبو بكر بن محمد بن عُزَيْز ،

فمعنى القوة الذي ذكره ابن فارس والذي يشير إلى الضعف والشدة في آن واحد ، ينبغي أن يكون عظة وعبرة للأفراد والشعوب ألا يغتروا بقوتهم ، وألا ييأسوا من ضعفهم وهوانهم . وكأن اجتماع هذين المعنيين للقوة (الشدة والضعف) وهما متضادان ، يشير إلى التقارب الزمني الشديد بينهما ، حيث إن القوة قد تنقلب إلى ضعف بشكل مفاجئ وسريع ، وكذلك الضعف على جميع المستويات قد ينقلب إلى قوة وشدة بشكل مثير للانتباه ، وهكذا فإن القوة قابلة للتراجع والتلاشي ، والضعف قابل للتنامي والاشتداد ، وفي كلا الحالتين ينبغي التوكل على الله والركون إلى جنابه العظيم ، فهو القوي الذي ينبغي استمداد القوة منه دائماً ، فهو الذي يمن على المستضعفين ويجعلهم أئمة وقادة ومؤثرين ، قال تعالى :{ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ }(القصص:5) ، وهو الذي يحفظ للأقوياء قوتهم ما داموا مقرين بفضل الله عليهم ، ومنضبطين بأخلاقيات القوة ، وأما الذين يعرضون عن ذكر الله ، وعن الضوابط الأخلاقية للقوة ، فلن تشفع لهم قوتهم عندما يحل عليهم غضب الله تعالى .

ثانياً : معنى القوة في الاصطلاح

عرفها الشيخ التهانَوي بأنها "مبدأ الفعل مطلقا"[1]. وقيل : "هي غاية الطاقة في الحركة"[2] . وعرفها ابن عاشور بأنها "كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد منها"[3] .

ولفظ القوة وضع لِمَا يُمَكِّن الحيوان من فعل ما شق من العمل ، ثم نقل إلى مبدئه وهي القدرة، وتكون القوة في البدن ، كما في قوله تعالى حكاية عن قوم عاد: { فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ

=ت330هـ : **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز** ، تحقيق : د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي ، (بيروت : دار المعرفة ، ط1 ، 1410هـ _1990م) ، ص435 .

[1] - التهانَوي، محمد علي : **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم** ، تحقيق : د. علي دحروج ، (بيروت: لبنان ناشرون،ط1، 1996) ،1324/2.

[2] - الكبيسي ، د. أحمد : "**برنامج الكلمة وأخواتها** : **منظومة الأيد** " ، 2006م ، http://www.islamiyyat.com/kalema.htm .

[3] - ابن عاشور ، محمد الطاهر ، ت 1393هـ : **التحرير والتنوير**،(بيروت : مؤسسة التاريخ ، ط1، 2000م)، 44/10.

مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ}(فصلت:15) ، وتكون القوة في القلب، كما في قولــه تعالى: {يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ }(مريم: 12) ، وقد تكون في المُعاون من الخارج، كما في قوله تعالى:{ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ }(هود:80)[1]

وخلاصة المعنى الاصطلاحي للقوة كما يراه الباحث بعد التدقيق والنظر: أن القوة إذا كانت في حق الله فهي ، كمال القدرة والاستغناء والتأثير وعدم التأثر . وإذا كانت في حــق البشــر فهي: مجموعة عوامل القدرة المادية والمعنوية لدى الإنسان .

[1] - انظر : أبو البقاء ، أيوب بن موسى الكفومي ، ت1094هــ: **كتاب الكليات** ، تحقيــق : عــدنان درويــش ومحمــد المصري ، (بيروت :مؤسسة الرسالة ، 1998 م)717/1 . الجرجاني ، علي بــن محمــد الشــريف ، ت816هـــــ : **التعريفات،** تحقيق : د. محمد عبدالرحمن المرعَشلي ، (بيروت : دار النفائس ، ط2 ، 1428هــ - 2007م) ،ص 259. الأحمد نكري ، عبد النبي بن عبد الرسول : **موسوعة مصطلحات جامع العلوم"الملقب بدستور العلماء"** ، (بيروت:مكتبة لبنان ناشرون ،ط1، 1997) ، ص717 .

المبحث الثاني : القوة ودلالاتها في السياق القرآني

أولاً : معنى القوة في السياق القرآني

وردت كلمة القوة **بصيغها المتعددة** في القرآن الكريم (42) اثنتين وأربعين مرة ، في(25) خمس وعشرين سورة[1] ، وفي ذلك دلالة على أهمية القوة في حياة الأمة المسلمة، سواء كانت مادية أو إيمانية . وقد جاءت هذه الصيغ (32) اثنتين وثلاثين مرة في المكي ، و(10) وعشر مرات في المدني ، بمعنى أن عدد الآيات المكية يربو على ثلاثة أضعاف الآيات المدنية ، مما يدل على أن حاجة المسلمين إلى القوة في العهد المكي حاجة ملحة، وفي ذلك إشارة ودلالة إلى عدة أمور منها :

1- المسلمون في بداية الدعوة كانوا بحاجة ماسة إلى قوةٍ إيمانية تجعلهم أقوياء لتحمل المسؤوليات المرتقبة لهم في المستقبل من ناحية ، ومن ناحية أخرى لتحمل الضغوطات الهائلة التي كان يمارسها عليهم أقوياء قريش ، فهناك ضرورة للتسلح بالقوة التي كانت تنقص المسلمين يومئذ، فقد تعرض المسلمون إلى شتى وسائل الترغيب والترهيب لفتنتهم عن دينهم ، ولهذا كانوا بحاجةٍ كبيرةٍ إلى قوةِ الإيمان بالله وبرسوله وبدينهم ، لأن المجتمع المكي يغلب عليه يومئذ أنه مجتمع كافر، فجاءت الكثير من الآيات تطالبهم بأخذ الدين وتعاليمه بقوة وصدق وإيمان ، كما في قوله تعالى : { فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا }(الأعراف:145) وقوله :

{ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }(الأعراف:171) .

وقوله :{ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ}(مريم:12) .

2- الآيات الكثيرة التي تتحدث عن قوة الله تعالى ، كما في قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ }(هود:66) . وقوله :{ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ }(الحج:40) .

---

[1] - انظر:عبد الباقي ، محمد فؤاد : **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، (القاهرة : دار الحديث ، ط1 ، 1996) ، ص 692-693 .

وهذا يعني أن المسلمين الذين يستمدون قوتهم من الله ، بحاجة في بداية الدعوة إلى التعـرف على بعض مظاهر قوة الله تعالى ، حتى لا يضعفوا أمام التهديدات وألوان العذاب التـي كانـت تمارس عليهم من قبل المشركين .

3- الآيات المكية الكثيرة التي تتحدث عن شدة قوى الأمم السابقة وما حل بهـا مـن هـلاك وعذاب ، كما فـي قولـه تعـالى : { أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ }(القصـص:78) . وقولـه : { أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا }(الروم:9)

فتلك الأمم كانت أشد قوة وفتكاً من قريش ، إلا أنها عندما كفرت بأنعم الله وبرسـلها قضـى الله عليها ، وجعلها أثراً بعد عين ، وفي هذا رسالةٌ للمسلمين ألا يخشوا بطش قريش مهما كانت قوتهم ، لأنهم إلى ضعف وانحطاط كما حلّ بالأمم العاتية السالفة ، وفي هذا توجيه لنا في هـذه الأيام ، أن لا نخشى طغيان الأقوياء ، وظلم الأعداء ، فقوتهم إلى زوال ، والأيام دول ، والقوي لن يبقى قوياً ، كما أن الضعيف لن يبقى ضعيفاً ، فلا بد من لحظة تنتصر فيها مبادئ الخيـر ، وينتصر الحق على الباطل ، والعدل على الظلم والطغيان .

4- إن الآيات المدنية تتطرق هي الأخرى إلى المواضيع نفسها التي تطرقت إليهـا الآيـات المكية ولكن بشكل أقل ، لأنّ المسلمين بحاجة إلى هذه المعاني والقواعد الإيمانية في كل زمـان ومكان ، ولكن الذي تطور في العهد المدني هو أنه قامت للمسلمين دولة ، يعتمدون عليهـا بعـد اعتمادهم على الله ، تحمي بيضتهم ، وتدافع عنهم ، وأصبح الجهاد العسكري فيها فرضا علـى الدولة من أجل الحفاظ على كيان المسلمين ونظامهم السياسي ، ومن أجـل ضـمان اسـتمرار الدعوة إلى الله تعالى ، وهذا الأمر يتطلب التزود بالقوة المادية لجهاد الأعداء عند الحاجة ، ومن أجل ردع الأعداء عن تنفيذ عدوانهم على المسـلمين ، كمـا فـي قولـه تعـالى : { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ }(الأنفال:60) .

من خلال دراستنا لكلمة القوة ومشتقاتها كما وردت في سياق الآيات فإننا نخلص إلى المعاني التالية :

1- وردت كلمة (قوة) للدلالة على معنى القدرة الإلهية كما في قوله تعالى : { وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ }(البقرة:165) ، وقوله :{ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ }(هود:66) .

2- وتأتي للدلالة على القدرة عند الملائكة ، كما في قوله تعالى : {ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ }(التكوير:20) . وقوله :{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ }(النجم:5) .

3- وتأتي للدلالة على القوة عند الجن ، كما في قوله تعالى : { قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ }(النمل:39) .

4- وتأتي للدلالة على العزيمة والجد (القوة في القلب) ، كما في قوله تعالى : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(البقرة:63) . وقوله: {خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(الأعراف:171).

5- وتأتي للدلالة على القدرة البدنية ، كما في قوله تعالى :{ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ }(النمل:33) . وقوله:{إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ}(القصص:76).

6- وتأتي للدلالة على المعونة من الخارج ، كما في قوله تعالى :{ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ }(هود:80) . وقوله:{ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا}(الكهف:95) .

7- وتأتي للدلالة على الرماية والإعداد ، كما في قوله تعالى : { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن

دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ }(الأنفال:60) ، وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم القوة بقوله : " ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي[1].

8- وتأتي للدلالة على الإتمام والإحكام ، كما في قوله تعالى :{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا }(النحل:92) .

9- وتأتي للدلالة على الفقر والجوع ونفاد الزاد ، كما في قوله تعـالى :{وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ } (الواقعة:73) .

ثانيًا : المفردات القريبة من معنى القوة في القرآن الكريم .

وردت في القرآن الكريم مفردات قريبة في دلالتها على معنى القوة والقوي وفيما يأتي بيان لأهمها :

1- الشديد : القوي ، والصعب . ويقال : شديد القوى : عظيم القدرة . وفي التنزيل العزيز : {عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ}(النجم:5)[2] . والشديد هو من يتمتع بغاية القوة في الحركة الفاعلة، بمعنى أن الشديد هو الذي يحرك القوة وينفذها[3] .

2- الغليظ : خلاف الرقيق . وغلظ عليه : اشتد وعنف . وفي التنزيل العزيز: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ }(التحريم:9)[1] . والغليظ هو الذي يستعمل الخشونة في فعله ، كما في قوله: { عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ}(التحريم:6)[2] .

---

[1] -مسلم : **الجامع الصحيح** ، كتاب الإمارة ، باب رقم 52 ، حديث رقم 1917 ، 1522/3 . أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت275هـ : **سنن أبي داود** ، تحقيق : محمد محيي الدين ، (بيروت : دار الفكر) ، كتاب الجهاد ، باب رقم 23 ، حديث رقم 2514 ، 13/3 . ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد ، ت275هـ: **سنن ابن ماجة** ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، (بيروت : دار الفكر) ، كتاب الجهاد ، باب رقم 19 ، حديث رقم 2813 ، 940/2 .

[2] -انظر : الزبيدي ، محمد مرتضى : **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق: علي شيري ، (بيروت : دار الفكر، ط1 ، 2005م) ، مادة (شدد) 39/5 . مصطفى ، إبراهيم وآخرون : **المعجم الوسيط** ، (القاهرة ، ط 2 ، 1972م)، مادة (شدد) ، ص: 501 .

[3] - الكبيسي " **منظومة الأيد** " ، islamiyyat.com www.

3-الثقيل : من له قــدر وخطــر ، كمــا فــي قولــه تعــالى : { إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا}(المزمل:5) . يقال : ثَقَلْتُ الشيء : إذا وازنْتُه . وقيل : إن معناه أن أوامــر الله ونواهيــه وفرائضه لا يؤديها أحد إلا بتكلف ، وقيل : ثقيل وقت نزوله من عظمته[3] . والثقيل هــو غايــة القدرة في الأهمية وكلما كان الشيء مهما جدا كانت قوته تسمى ثقــلا ،{ إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا }(المزمل:5)[4] .

4- المتين : الشديد الحول ، كما في قولــه تعــالى : { ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ }(الــذاريات:58) ، وأصله من المتن وهو الصلب فإنه أقوى ما في الناس[5] . والمتين : "هو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة[6] .

5- الصلد : النقي ، كما في قوله تعالى : { فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًاۖ }(البقرة :264) ، وأصله الحجر الصلب وهو الذي لا ينبت شيئا[7] . والصلد هو كل كتلة لا تتفتت ، ولا تنبت أبــدا ، وهــي مــن القوة بمكان[8] .

6- المكين : القوي المتمكــن ذو المكانة ، كما في قوله تعالى : { ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ }(التكوير:20) ، أي قوي متمكن ، ذو مكانة عند الله[9]. والمكين هو ذو القوة النافذة عند

---

[1] - انظر : مصطفى : **المعجم الوسيط** ، مادة (غلظ) ، ص:691 .

[2] الكبيسي : " **منظومة الأيد** " ، islamiyyat.com www

[3] - انظر : السمين الحلبي : **عمدة الحفاظ** ، مادة (ثقل) ، 281/1 . الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بــن يعقــوب ، ت817هــ : **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، تحقيق : محمد علي النجار ، (القاهرة ، ط4 ، 1425هــ - 2005م) ، 2/ 334 .

[4] - الكبيسي : " **منظومة الأيد** " ، islamiyyat.com www

[5] - انظر : السمين الحلبي : **عمدة الحفاظ** ، مادة(متن) ، 66/4-76 .

[6] - البغوي ، أبو محمد ، حسين بن مسعود الفراء ، ت516هــ : **معالم التنزيل** ، تحقيق :خالد العك ومروان ســوار ، (بيروت : دار المعرفة ، ط2، 1987) ، 236/4 .

[7] - انظر : السمين الحلبي :**عمدة الحفاظ** ، مادة (صلد) ، 349/2 . الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب : **بصــائر ذوي التمييز** ، 434/3 .

[8] - الكبيسي : " **منظومة الأيد** " ، islamiyyat.com www.

[9] - انظر : السمين الحلبي:**عمدة الحفاظ** ، مادة (مكن) ، 4/ 105.

الملك لقربه من مكانه ، كما في قوله تعالى :{ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ }(التكوير:20)[1].

}(التكوير:20)[1].

7- الشوكة : السلاح التام ، كما في قوله تعالى :{ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ }(الأنفال:7) ، والشوكة أيضا: القوة والسلطان . وأصل ذلك من الشوك ، واحِدَهُ شوكة ، وهو ما دق وصلب رأسه من النبات . ثم عبر به عن القوة والسلطان[2] .

8- البأس: البأس والبؤس والبأساء كلها شدَّة ومكروه ، قال تعالى: { وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ }(الحديد:25) ، أي امتناع وقوة ، وقوله : { تَقِيكُم بَأْسَكُمْ }(النحل:81) ، أي دروعا تقيكم الشدة والضر الواقع بينكم[3] .

9- الأيد : القوة . قال تعالى : { وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ }(الذاريات:47) ، أي بقوة وإحكام وقوله : { وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ }(ص:17) ، أي ذا القوة في الأقوال والأفعال.والأيْد والأيِّدُ: ذو القوة الشديدة[4].

10- العزة : العزيز ، الغالب الممتنع على من يريده بالقهر والغلبة ، قال تعالى : { وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }(البقرة:228) ، وقوله : { وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ}(ص:23) ، أي غلبني وقوله : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ }(يوسف:78) ، وسموه عزيزاً لامتناعه وشدته ، لأن هذه صفة الملوك ، قال تعالى : { فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ }(يس:14) ، أي قوينا[5] .

---

1 - الكبيسي : " **منظومة الأيد** " islamiyyat.com www.

2 - انظر : السمين الحلبي : **عمدة الحفاظ** ، مادة (شوك) ، 2/ 304.

3 - انظر : المصدر السابق ، مادة (بأس) ،153/1- 154 .

4 - انظر : **المصدر السابق** ، مادة (أيد) ، الجزء نفسه ، ص143- 144

5 - انظر : السمين الحلبي :**عمدة الحفاظ** ، مادة (عزز) ، 3/ 67-68 . الرازي ، محمد بن أبي بكر : **مختار الصحاح** ، (القاهرة : دار الحديث) ، مادة (عزز) ، ص238 .

11- الأزر: القوة الشديدة ، قال تعالى : { ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِى }(طـه:31) ، أي أتقوى بـه . وآزرته : قويته ، قال : { فَـَٔازَرَهُۥ }(الفتح:29) ، أي قواه[1] .

12- اليمين : أي القوة والقهر ، لقوله تعالى : { إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ }(الصافات: 28) ، أي غلبتمونا وقهرتمونا حتى أطعناكم ، والعرب تنسب الفعل المحمود إلى اليمين ، والمذموم إلى الشمال ، وقوله : { لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ }(الحاقة: 45) ، عبارة عن الهلكة ، لأن السيّاف عادة يأخذ من يضرب عنقه من جهة اليمين ليتمكن من ضربه . وقيل : معناه : أخذناه بالقوة والقدرة . وقيل : أخذنا قوته وقدرته[2] .

13- البطش : بطش به بطشاً : أخذه بالعنف . وفي التنزيل العزيز : { وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ }(الشعراء: 130) . وبطش بالشيء : أمسكه بقوة[3].

---

[1] - انظر : **المصدر السابق** ، مادة (أزر) ، 1/ 87 .

[2] - انظر : **المصدر السابق** ، (مادة يمن) ، 4/ 357-358 .

[3] - انظر : مصطفى : **المعجم الوسيط** ، مادة (بطش) ، ص 81 .

الفصل الثاني

القوي اسم من أسماء الله تعالى

المبحث الأول : القوة صفة من صفات الله تعالى

المبحث الثاني : الأسماء المقترنة باسم الله تعالى (القوي)

المبحث الثالث : مظاهر قوة الله تعالى في الدنيا والآخرة

المبحث الرابع : حاجة الأمة في هذا الزمان إلى استشعار قوة الله تعالى

المبحث الأول : القوة صفة من صفات الله تعالى

أولاً : قوة الله تعالى المطلقة

وصف الله تبارك وتعالى ذاته بالقوة في غير موضع في القرآن الكـريم ، فقـوة الله تعـالى مطلقة لا حدود لها ، وقوة المخلوقات محدودة مهما تعاظمت ، ومقهورة مهما تجبـرت . فـالله تعالى ينتقم يوم القيامة من الظالمين الذين طغوا وبغوا ولم يعملوا حساب لذلك اليوم .

يقول الله تعالى :{وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ}(البقرة:165) . قال ابن كثير " أي: أن الحكم له وحده لا شريك له، وأن جميع الأشـياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ، { وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ} كما قـال:{ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ}(الفجر:25-26) ، يقول: لو يعلمون ما يعاينونه هنالك، ومـا يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال[1].

وقال سيد قطب رحمه الله " أولئك الذين اتخذوا من دون الله أنداداً فظلموا الحـق، وظلمـوا أنفسهم ، لو مدوا بأبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد ! لو تطلعوا ببصائرهم إلى يـوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين ! لو يرون لرأوا { أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } فـلا شـركاء ولا أندا[2]، فالله تعالى قوي لا يقهر ، شديد العقاب لمن عصاه .

ويقول الله تعالى عن آل فرعـون : {كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ}(الأنفال:52) . قال الإمام الطبـري : "فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ومعصيتهم ربهم، كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم

---

[1] - ابن كثير ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت 774هـ: **تفسير القـرآن العظـيم** ، (بيـروت: دار الفكـر ، 1401هـ)، 343/7 . وانظر : بدران ، عبدالقادر بن أحمد : **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار ، المستخرجة مـن كـلام العزيز الجبار** ، تحقيق : زهير الشاويش ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ط1، 1420هـ) ، ص436-437 .

[2] - قطب، سيد ، ت1386هـ: **في ظلال القرآن** ،(القاهرة وبيروت : دار الشروق، ط17، 1992م) ، 153/1-154.

{ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ } لا يغلبه غالب ، ولا يردُّ قضاءه راد، ينفذ أمره ويمضي قضاءه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر بآياته ، وجحد حججه[1] .

فالله تعالى وصف ذاته في الآية السابقة بأنه قوي وشديد العقاب ، قال ابن عاشور : والمقصود من ذكر هذين الوصفين: الإيماء إلى أنّ أخذهم كان قوياً شديداً ، لأنّه عقابُ قوي شديد العقاب، كقوله:{ فَأَخَذۡنَـٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٍ مُّقۡتَدِرٍ }(القمر:42)، وقوله:{ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }(هود: 102)[2] .

ندرك مما سبق مدى الفهم العميق لقوة الله تعالى عند المؤمنين به ، وذلك بحبهم لله تعالى والتزامهم بشرعه ، وانتظارهم لفرجه وثوابه ، فلم يتصرفوا كما تصرف المشركون بالله والكافرون به وبشرعه ، فهؤلاء المشركون والكافرون بسبب عدم تقديرهم لقوة الله المطلقة ولجنوده الذين لا يعلمهم إلا الله ، فقد تصرفوا بما يدل على عقم تفكيرهم وقصر نظرهم وتمسكهم بتراب الأرض وقيمه الزائلة ، ولم يعتبروا بما جرى للأمم السابقة كآل فرعون وغيرهم .

وإذا كانوا يراهنون على قوة أندادهم وشركائهم فسوف يعلمون إن عاجلا في الدنيا أو آجلا في الآخرة ، أن القوة الحقيقية لله عز وجل ، وأن الجميع تحت سلطانه وإرادته ، فلا قوة تعلو فوق قوة الله ، ولا شرع أحكم من شرع الله ، ولا شخص أصدق من رسل الله وأنبيائه .

ثانيا: أسماء أخرى تتعلق بقوة الله تعالى المطلقة مع بيان المعنى الخاص لكل اسم

1-المتين :يقول الله تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ }(الذاريات:58)،والمتين :هو الشديد القوة ، القادر البليغ الاقتدار على كل شيء[3]، أي " المبالغ في القوة والقدرة [4] .

---

[1] - الطبري، محمد بن جرير ، ت310هـ : **جامع البيان في تأويل آي القرآن** ، (بيروت : دار الفكر، ط1، 1405هـ)، 23/10.

[2] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير** ، 174/6. وينظر : ابن أبي العز ، علي بن علي بن محمد ، ت722هـ : **شرح العقيدة الطحاوية** ، (الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ط1 ، 1423هـ - 2002م) ، ص52-54 .

[3] - انظر: الزمخشري، محمود بن عمر ، ت 538هـ: **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، (بيروت :دار الكتب العلمية ، ط2 ،2003) ،396/4 .

[4] - البغوي: **معالم التنزيل** ، 236/4 .

2-العزيز: يقول الله تعالى : { مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ }(الحج:74) ، قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية عن اسم الله العزيز: "عَزِيزٌ : منيع في مُلكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيئاً [1].

3- القاهر : يقول الله تعالى : { وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ }(الأنعام:18) فالقاهر : هو المذَلِل المستَعبِد خلقه ، العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه[2].

4- القهَّار : يقول الله تعالى: { هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ }(الزمر:4) ، فالقهار: هو الذي قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت[3] .

5- الجبار : يقول الله تعالى : { هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عمَّا يُشۡرِكُونَ }(الحشر:23)، فالجبار : "هو المصلحُ أمورَ خلقه ، المصرفهم فيما فيه صلاحهم . وكان قتادة يقول : جَبَر خلقه على ما يشاء من أمره[4].

---

1 - الطبري: **جامع البيان** ، 204/17 .

2 - انظر : **المصدر السابق** ، 161/7 .

3 - انظر: ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم**، 46/4 .

4 - الطبري: **جامع البيان** ، 55/28 . وانظر : الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل ، ت 503 هـ ، **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، (بدون معلومات نشر) ، ص85-86 .

المبحث الثاني : الأسماء المقترنة باسم الله تعالى (القوي)

أولا: اقتران اسم الله القوي بالعزيز

إن كل كلمة في القرآن الكريم لها وزنها وقوتها ودلالتها في مكانها ، ولو بحثنا عن كلمة بديلة في اللغة العربية لتسد مسد هذه الكلمة ما وجدنا لها مثيلا ، يقول ابن عطية :" وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد [1] .

فاقتران اسم الله القوي بالعزيز في عدة مواضع في القرآن الكريم له حكمة بالغة ، يريد منا الرب جل وعلا أن نوجه الأنظار إليها ، يقول الله تعالى : { فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ } (هود:66) .

يقول الألوسي عن معنى القوي العزيز: " أي القادر على كل شيء ، والغالب عليه في كل وقت ، ويندرج في ذلك الإنجاء والإهلاك في ذلك اليوم [2]. وهذا الخطاب موجه لمحمد صلى الله عليه وسلم " تسلية وتسرية عنه وتقوية لعزمه، فالحق سبحانه مقتدر يأخذ كل كافر، ولا يغلبه أحد ولا يعجزه شيء ، وفي هذا إنذار لمن كفروا برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] .

ومن خلال ما مر معنا من شرح الآية ، يتبين لنا أن مجيء (القوي والعزيز) مقترنين له حكمة ، فالآية تتحدث عن إنجاء نبي الله صالح والذين آمنوا معه ، بينما أهلك الله أعداءهم عندما جاء أمر الله ، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت كلمة{رَبَّك} لبيان الربوبية والرعاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في خضم معركته مع أعدائه ، وبرزت القوة في آثار أمر الله وإهلاك أعداء نبي الله صالح ، وبرزت العزة في إعزاز وإنجاء نبيه والمؤمنين معه .

وفي آية أخرى ، يقول الله تعالى : { ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج:40)، ففي قوله تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } ، دلالة على قوة الله في نصر من جاهد في

[1] - ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق ابن غالب ، ت 546 : **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1413هـ - 1993م) ، 52/1 .

[2] - الألوسي : **روح المعاني** ، 92/12 .

[3] - الشعراوي : محمد متولي : **تفسير الشعراوي** ، (القاهرة :أخبار اليوم ،1991م) ، 6543/11.

سبـــيـــله من أهل ولايته وطاعته، عزيز فـــي مُلكه، أي: منـــيع فـــي سلطانه، لا يقهره قـــاهر، ولا يغلبه غالب[1] .

وجاء في تفسير ابن عاشور عن هذه الآيـــة : " وجملـــة { إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ } ، تعليـــل لجملة { وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ} ، أي كان نصرهم مضموناً ، لأنّ ناصرهم قـــدير علـــى ذلك بالقوة والعزة . والقوة مستعملة في القدرة، والعزّة هنا حقيقة لأنّ العزّة هي المنعة، أي عـــدم تسلّط غير صاحبها على صاحبها[2].

والحديث هنا عن قيام أعداء الله بإخراج المؤمنين من أوطانهم بسبب عبادتهم لله ، ولذلك فإنه يبدو لي أن مجيء الربط بين(القوي والعزيز) مع التأكيد باللام (لقوي) ، يدل علـــى أن الله عـــز وجل ، قوي وقادر على نصرة أوليائه المستضعفين وإعزازهم ، وجعـــل الغلبـــة لهـــم والقهـــر والإذلال لأعدائهم .

فهذه والله بشرى لنا معشر المسلمين في هذا الزمان ، الذي تكالب فيه علينا أعداء الإســـلام ، ورمونا عن قوس واحدة ، وأصبح همهم الرئيس تشويه صورة الإسلام ، ووقف المد الإســـلامي الذي غزاهم بفضل الله في عُقر بيتهم ، فانصروا الله يا عباد الله ، وارفعوا راية الإسلام عاليـــة مدوية ، ولوذوا بجناب الله القوي العزيز ، الذي وعد بالنصر الأكيد لمن ينصـــر دينـــه ، حيـــث قال:{وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ } .

ثانيا : اقتران اسم الله القوي بالمتين

يقول الله عز وجل : { إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ }(الذاريات:58)

جاء في تفسير الألوسي قوله: " كونه تعالى هو الرزاق ، ناظر إلى عدم طلب الـــرزق ، لأن من يطلبه يكون فقيراً محتاجا؛ وكونه عز وجل هو ذو القوة المتين ، ناظر إلى عدم طلب العمل المراد من قوله سبحانه:{ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ }(الذاريات: 57] ، لأن من يطلبه يكون عاجزاً ، لا قوة له ، فكأنه قيل: ما أريد منهم من رزق ،لأني أنا الرزاق ، وما أريد منهم من عمل ، لأني قوي متين ، ... وزيد الوصف بالمتين وهو الذي له ثبات لا يتزلزل[3] .

---

[1] - انظر: الطبري: **جامع البيان** ، 178/17 .

[2] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير**،283/9.

[3] - الألوسي : **روح المعاني** ،23/27.

وقال الإمام الرازي : " لم يقل القوي بل قال ذو القوة ، وذلك لأن المقصود تقرير ما تقدم من عدم إرادة الرزق ، وعدم الاستعانة بالغير ، ولكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كون المستغني بحيث يرزق واحدا ، فإن كثيرا من الناس يرزق ولده وغيره ويسترزق ، والملك يرزق الجند ويسترزق ، فإذا كثر منه الرزق قل منه الطلب ... وذو القوة لا يدل إلا على أن له قوة ما ، فزاد في الوصف بيانا وهو الذي له ثبات لا يتزلزل ، وهو مع المتين من باب واحد لفظا ومعنى ، فإن متن الشيء هو أصله الذي عليه ثباته ، والمتن هو الظهر الذي عليه أساس البدن [1] .

بالإضافة إلى ما ذكر من اقتران (ذو القوة) و(المتين) بعد مجيء كلمة الرزاق ، فإني أقول : إن الرزق بحاجة إلى قوة على جلبه ، وإلى إمداد ثابت في تحصيله ، وهذا الأمر لا يمكن للإنسان أو لأي قوة أخرى أن توفره للأحياء ، وإنما هو بيد الله القوي على الإرزاق ، وتوفير أسباب الرزق والمعاش . واقتران كلمة المتين بالقوة ، يوحي لنا أن الله وحده هو الذي يوفر أسباب الرزق لعباده على الدوام ، دون أن تتأثر هذه القدرة الإلهية على الإرزاق ، مهما طال الزمان وتبدلت الأوطان على الناس .

---

[1] - الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ت604هـ: **مفاتيح الغيب** ،(بيروت:، دار الكتب العلمية، ط1 ، 1421هـ) ، 28/202-203 .

المبحث الثالث : مظاهر قوة الله تعالى في الدنيا والآخرة

أولا : نصره للأنبياء وأتباعهم رغم بطش أعدائهم

إنَّ النصر حليف الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الـدين ، قـال تعـالى :{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ }(غـافر:50) ، والله تعـالى ينصر من نصر دينه ، قـال تعـالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(غافر:7). ويقـول الله تعـالى : {فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ }(هود:66) .

في الآية الكريمة الأخيرة بيان أن الله نجّا صالحا والذين آمنوا معه برحمة من عنده وفضل ، وذيَّل الآية بأنه جل جلاله وعم نواله ، قوي عزيز . قال الطبري : " القـوي فـي بطشـه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز ، فلا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، بـل يغلب كلّ شيء ويقهره[1] .

وجاء في خواطر الشعراوي عن هذه الآية قوله : " نجّا الحق صالحاً عليـه السـلام والـذين آمنوا برسالته من الهلاك، فحفظتهم رحمة الله؛ لأنهم آمنوا بما نُزّل على صالح من منهج، ولـم يُعَانِ المؤمنون برسالة صالح ما عانى منه قوم ثمود من الذل والفضـيحة . هـذا الـذل وتلـك الفضيحة التي حاقت بثمود[2].

يتبين لنا من الآيات الكريمة السابقة ، ومن خلال استقرائنا لآيات الكتاب المجيـد ، أن هـذا الإنجاء ، وهذه النصرة ، كانت مع جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ، مثلما كانت مـع صـالح عليه السلام وأتباعه ، فقد قال الله تعالى عن نوح عليه السـلام : { فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ }(الأعراف:64)، وقال عن هود عليه السـلام : { فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ }(الأعراف:72) ، وقال عـن لـوط عليه السلام : { فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ } (الأعراف:83) ، وقـال

---

1 - الطبري: **جامع البيان**، 65/12 .

2 - الشعراوي : **تفسير الشعراوي**، 6543/11.

عن شعيب عليه السلام : { ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ } (الأعراف:93) ، وقال عن قوم فرعون لما كذبوا موسى عليه السلام{ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (الأعراف: 136) .

وهكذا نرى أن نصر الله لأوليائه من المرسلين وأتباعهم لا يتأخر مهما استعمل أعداؤهم من الوسائل المادية والمعنوية لطمس معالم الدين ، وإيذاء رسله وأتباعهم ، والذي يتطلب منا اليوم هو الصبر والتحمل مع الجهد والعمل لدين الله ، وعدم الاستسلام واليأس ، لأن المعركة الحقيقية هي بين المؤمنين وبين الشيطان ، ووسائل الشيطان التي يوحيها لأوليائه ضعيفة أمام الجناب العظيم لله الذي يركن إليه المؤمنون ، وهذا ما تبدى من خلال قصص الأنبياء وحتمية انتصارهم ولو بعد حين ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ } (الصافات : 172-173) .

ثانيا : رزقه لعباده دون مقابل أو طلب معونة

يقول الله تعالى : { مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ }(الذاريات:57-58) . وقال تعالى: { ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ } (الشورى :19) .

في الآيتين الكريمتين ، يتجلى لنا أن الإرزاق مظهر بارز من مظاهر قوة الله تعالى ، فهو الذي يرزق مخلوقاته جميعا في آن واحد ، فخزائنه ملأى لا تنفد أبدا ، يرزق عباده بغير حساب، ولا يحتاج لأحد من خلقه ، كاحتياج السادة مع عبيدهم . قال أبو السعود : " في هذا بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم ، حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ، وتهيئة أرزاقهم ، أي ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم، بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي ، فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي{ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ } ، الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق ، وفيه تلويح بأنه غني عنه[1] .

[1] - أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ت951هـ : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم** ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ،145/8.

وبين سبحانه وتعالى في آيات أخرى ، كيفية هذا الــرزق تفصيلا ، مما يــعجز الخــلق عن فعله ، وذلك في قوله تعــالى : { فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ } (عبس: 24-28) .

قال الشنقيطي : " فجميع أنواع الرزق في ذلك ابتداء من إنزال الماء من السماء ، ثــم ينشــأ عنه اشقاق الأرض عن النبات بأنواعه ، حبا وعنبا وزيتونا ونخــلا وحــدائق وفاكهــة وكلهــا للإنسان ، وقضبا وأبا للأنعام ، والأنعام أرزاق أيضا لحما ولبنا ، وجميع ذلك قوامه إنزال الماء من السماء، ولا يقدر على شيء من ذلك كله إلا الله ، فإذا أمسكه الله عن الخلق لا يقوى مخلوق على إنزاله ، فإذا علم المسلم أن الأرزاق بيد الخلاق ومن بيده مقاليد الســماوات والأرض، لــن يتجه برغبة ولا يتوجه بسؤال إلا إلى الله تعالى ، موقنا حق اليقين أنه هو سبحانه، هو الــرزاق ذو القوة المتين [1].

من خلال ما تقدم نؤكد مرة أخرى ، أن الإرزاق مظهر بارز من مظاهر قوة الله تعــالى ، إذ أن الرزق بحاجة إلى مصادر دائمة لتغطية حاجات المخلوقات كلها ، والى دوام هذه المصادر ، وهذا الأمر لا تطيقه القوى البشرية مهما بلغت عظمتها ، إنما هو من فعل الله الخــالق الــرازق القوي . وكل هذه النعم التي يتقلب فيها الخلق كلهم ، هي رزق من الله دون مقابل ، فــالله هــو الرزاق القيوم بذاته ، ولا يحتاج إلى أحد من خلقه ، وهو الصمد الذي يقصد في جميع الحوائج . وإن الخلق يذهبون ويأتي خلق جديد ، ويبقى الله كما هو ، خالق ،رازق ، قوي ، متين ، غنــي عن عباده .

ثالثا : حفظه للنعم واستمرارها لمن أطاعه

إن حفظ الله للنعم ، دليل واضح لقوة الله تعالى ، إذ إن القصص القرآني والآيات القرآنيــة ، تشير بكل وضوح إلى أن النعم قد تزايدت عندما شكر أصحابها خالقهم ومنعمهم ، وزالت عندما كفر أصحابها بنعم الله تعالى ، كما في قوله تعالى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ

---

[1] - الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار ، ت1393هــ: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، (بيروت : دار الفكر للطباعة، 1415هــ) ،244/8.

ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ }(النحل:112) .

فعلى كل واحد منا أن يستشعر نعم الله عليه ، وأن يعترف أنها من الله ، يقول الله تعالى : { وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا} (الكهف:39) . يقول الزمخشري : " والمعنى : هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله ، اعترافاً بأنها وكلّ خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده ، إن شاء تركها عامرة وإن شاء خرّبها ، وقلتَ { لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ } ، إقراراً بأن ما قويتُ به على عمارتها ، وتدبير أمرها ، إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ، ولا في ملك يده ، إلا بالله تعالى[1]. وفي تفسير ابن عاشور يقول : " وجملة{ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ } تعليل لكون تلك الجنة من مشيئة الله ، أي لا قوة لي على إنشائها ، أو لا قوة لمن أنشأها إلا بالله ، فإن القوى كلها موهبة من الله تعالى ، لا تؤثر إلا بإعانته ، بسلامة الأسباب والآلات المفكرة والصانعة [2] .

فالله يمتنُّ على عباده بجميع النعم والعطايا فيقول : { وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ }(النحل: 53) ، وعليهم أن يشكروا الله تعالى لتبقى هذه النعم ، لأن النعم بحاجة إلى طاعة ودعاء وشكر ، كما في قوله تعالى:{ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }(إبراهيم:7) ، وكل نعمة يُذكّرهم الله تعالى بما ينقضها وما يبطلها ، لأنها من صنع الله وليست من صنع البشر ، وإلاَّ فَلْيحافظوا عليها إنْ كانت من عندهم ، يقول الله: { أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ } (الواقعة:63-70) .

---

[1] - الزمخشري: **الكشَّاف** ، 675/2.

[2] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 375/8 .

رابعا : أطوار خلق الإنسان من الضعف إلى القوة ومن القوة إلى الضعف .

يقول الله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ }(المؤمنون:12-15) ، ويقول الله تعالى : { ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ }(الروم:54) .

في الآيتين الكريمتين تتجلى أطوار خلق الإنسان ، وأنه يمر في مراحل من العدم إلى الوجود الضعيف ، ثمّ إلى الوجود القوي ، ثم إلى الضعف والموت ، ثم بعد الموت تتوالى الأطوار إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار. قال ابن كثير: " ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال ، فأصله من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم يصير عظاماً ، ثم تكسى العظام لحماً ، وينفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوى ، ثم يشب قليلاً قليلاً حتى يكون صغيراً ، ثم حدثاً ، ثم مراهقاً شاباً ، وهو القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص ، فيكتهل ، ثم يشيخ ، ثم يهرم ، وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة والحركة والبطش ، وتشيب اللمة ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال تعالى: { ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً } ، أي: يفعل ما يشاء، ويتصرف في عبيده بما يريد، { وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ } [1] . " وهذا الترديد في الأحوال المختلفة ، والتغيير من هيئة إلى هيئة ، وصفة إلى صفة ، أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر[2].

فقوة الإنسان محفوفة بضعفين ، ضعف الطفولة ، وضعف الشيخوخة ، وفي هذا حكمة عظيمة أن يرى العبد ضعفه ، وأنه ليس له من نفسه إلا النقص ، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة ، ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى وعتا ، وليعلم العباد كمال قدرة الله

[1] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم**، 440/3 .

[2] - الزمخشري: **الكشّاف** ، 493/3.

التي لا تزال مستمرة ، يخلق بها الأشياء ، ويدبر بها الأمور، ولا يلحقها إعياء ولا ضـــعف ولا نقص بوجه من الوجوه[1] .

إن كل هذه المراحل تبين لنا أن الإنسان مسيّر من جهة تنقله من مرحلة إلى مرحلة ، وهـــذا يدل على ضعفه وعجزه وحاجته إلى خالقه ليرعاه في مراحله ، ومن جهة أخرى أن هذا التقلب من مرحلة إلى مرحلة ، يدل على سعة قوة الله وحكمته في تدبير شؤون خلقه ، وأن هذا الخلـــق الإنساني ، والخلق الكوني ، يقع تحت قهر الله وتدبيره وحكمته . وأمـــام هذه الحقائق الدامغة ، التي لا يـــختلف عليها عاقلان ، ينبغي للإنسان أن يقر بضعفه وعجزه ، وأن يستعين بقدرة الله تعالى المطلقة ، القادرة على إمداد المخلوقات بأسباب القوة والوجود والتأثير .

خامسا : جنود الله لا حصر لها تنتقم ممن عصاه .

يقـــول الله تعـــالى : { أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } (غـــافر:21- 22) . وقـــال : { فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ} (فصلت: 15-17) .

في الآيات الكريمة ، بيان مفصل عن هلاك الأمم التي غلبت عليها معصية الله ، وأعرضـــت عن كلماته وآياته المحكمة ، فقد أصابها عذاب الله بسبب استهانتها بكلماته ، وقد كان عذاب تلك الأمم بأمر الله تعالى لجنوده ممن لا يعلمهم إلا الله ، بالانتقام ممن كذبوا بآياته وكلماته ، فكانت العقوبة من جنس العمل .

---

[1] - انظر: السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنـــان** ، تحقيـــق : ابـــن عثيمـــين، (بيروت : مؤسسة الرسالة ،1421هـــ- 2000م)، 645/1 .

وعندما ننظر إلى بعض الجنود مثل (الصيحة ، الحاصب ، الريح ، الخسف ، الغرق) نرى أنها تحركت بأمر الله وكلماته ، كما هو في قوله تعالى: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }(العنكبوت: 40) ، فكانت الصيحة جنديا ربانيا مهلكا لقومي مدين وثمود ، والحاصب [1]جنديا ربانيا مهلكا لقوم لوط والريح جنديا ربانيا مهلكا لقوم عاد ، والخسف جنديا ربانيا مهلكا لقارون ، وكان الغرق جنديا ربانيا مهلكا لفرعون وقومه .

هذا العذاب الرباني موجه للعصاة في كل زمان ومكان ، ففي الآية الأولى يوجه الله تعالى الخطاب للمكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل قريش ، أن يسيروا في الأرض { فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ } ، يقول الطبري: " فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم في الكفر بالله ، وتكذيب رسله[2].

ويقول الفخر الرازي " إن العاقل من اعتبر بغيره، فإن الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار، وأقوى آثاراً في الأرض منهم ، والمراد حصونهم وقصورهم وعساكرهم، فلما كذبوا رسلهم أهلكهم الله بضروب الهلاك [3].

فالله جل وعلا ، لا يعجزه شيء ولا يقهره ولا يغلبه ، فهؤلاء القوم لم تنفعهم شدة قوتهم ، أو عمارتهم ، يقول صاحب الظلال رحمه الله : " ولكنهم ــ مع هذه القوة والعمارة ــ كانوا ضعافاً أمام بأس الله ، وكانت ذنوبهم تعزلهم عن مصدر القوة الحقيقية ، وتستعدي عليهم قوى الإيمان ومعها قوة الله العزيز القهار:{ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ } ، ولا واقي إلا الإيمان والعمل الصالح ، والوقوف في جبهة الإيمان والحق والصلاح [4] .

فالله جلت قدرته يأخذ العصاة بذنوبهم ، وأخذه تعالى أليم شديد ، ينتقم ممن عصاه ، ويدافع عن أوليائه ممن عاداهم ، يقول الله تعالى : { وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

---

[1] - الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . انظر : ابن منظور : لسان العرب : 320/1 .

[2] - الطبري: **جامع البيان** ،54/24 .

[3] - الرازي: **مفاتيح الغيب**،47/27 .

[4] - قطب ، سيد: **في ظلال القرآن** ،3077/5 .

حَكِيمًا }(الفتح:7) . يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: " فمن جنود السماوات : الملائكة الذين أنزلوا يوم بدر، والريح التي أرسلت على العدوّ يوم الأحزاب، والمطر الذي أنزل يوم بَدر فثبت الله به أقدام المسلمين . ومن جنود الأرض ، جيوش المؤمنين ، وعديد القبائل الذين جاءوا مؤمنين مقاتلين مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، مثل بني سُليم ، ووفود القبائل الذين جاءوا مؤمنين طائعين دون قتال في سنة الوفود [1].

وإذا كانت هذه الجنود الربانية ، مهلكة للأقوام السابقة ، فإنها ليست من الظالمين ببعيد في أي زمان أو مكان ، ففي هذا الزمان وصلت المعاصي إلى حد لم تصل إليه في أي زمان مضى ، وكل ذلك بسبب سهولة الاتصال ، ومعرفة ما يدور في كل جزء من أنحاء هذا العالم ، الذي أصبح كالقرية الصغيرة بسبب التقدم التكنولوجي ، فالذي يُفعل في مكان ما ، يقلد في مكان آخر، وبسرعة خيالية ، فهناك تسابق على المعصية ، وتفنن بها ، فهذا زمان الحرية والتفلت والانحلال والجهر بالمعصية وإعلانها على الملأ ، من غير خجل أو وجل ، لهذا جاءت هذه العقوبات العجيبة التي لم تكن عند الأمم السابقة كمرض الإيدز ، الذي يسمى بالطاعون الأبيض، هذا المرض الذي حصد أرواح الملايين وما زال يحصد ، ومرض جنون البقر ، وانفلوانزا الطيور ، وغيرها من الأمراض التي أصابت الحيوانات ، فأهلكت عشرات الملايين منها ، وهذه الزلازل والبراكين والفيضانات والصواعق والأعاصير، كل ذلك نزر قليل من خزائن العذاب الربانية . وما حدث مؤخرا في جنوب شرق آسيا من مد بحري (تسو نامي) ، ذهب ضحيته مئات الآلاف من الأشخاص ، لأكبر شاهد على سخط الله على عباده في هذا الزمان ، فالجزاء من جنس العمل . فهذه الصور وغيرها من العذاب ، يمكن اعتبارها جنودا لتأديب الخارجين على قانون الله وسننه وتشريعاته ، ولعل هذه العقوبات ، تدعو العصاة للرجوع إلى ربهم ، فالله تعالى يقول :{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(السجدة :21) .

---

[1] - ابن عاشور: **التحرير والتنوير**،450/13.

سادسا : شدة العذاب في الآخرة للمشركين والرحمة بالمؤمنين

يقول الله تعالى : { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ }(البقرة:165) .

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية : " ولو يرى الذين ظلموا عذاب الله الذي أُعِدَّ لهم في جهنم ، لعلموا حين يرونه فيعاينونه أن القوّة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب [1]

وقال صاحب الظلال: " أولئك الذين اتخذوا من دون الله أندادا ، فظلموا الحق، وظلموا أنفسهم... لو مدوا بأبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد! لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين! لو يرون لرأوا { أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } ، فلا شركاء ولا أنداد...{ وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ }. لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين ، ورأوا العذاب ، فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب، وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً ، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها ، وعجزت عن وقاية أنفسها فضلاً عن وقاية تابعيها ، وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة ، والقدرة الواحدة ، وكَذِبُ القيادات الضالة ، وضعفها ، وعجزها أمام الله ، وأمام العذاب...إنه مشهد مؤثر ، مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين . بين المحبين والمحبوبين! وهنا يجيء التعقيب الممرض المؤلم:{كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ}(البقرة:167)[2].

وفي تفسير الشعراوي يقول : " { إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ } ، أي يرون العذاب حق اليقين ، وقد سبق أن أُخبروا به، لكنهم لم يؤمنوا باليوم الآخر؛ لكن لو صدقوا بيوم القيامة وآمنوا ، لكفاهم أن يروا العذاب عين اليقين ، ويختم الحق سبحانه الآية الكريمة بقوله : { أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ

---

[1] - الطبري: **جامع البيان**، 68/2 .

[2] - قطب سيد: **في ظلال القرآن**، 154/1 .

ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ } ، أي أنهم ساعة يرون العذاب حق اليقين ، سيدركون عندها أن القوة لله ، وأنه شديد العقاب [1] .

فالآية واضحة في أن القوة لله جميعا ، وأن الذين يدركون هذه الحقيقة في الآخرة وبعد فوات الأوان ، هم الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أندادا ، ظانين أن القوة للأنداد ، وإذا بهم يجدون أنفسهم بلا أنداد وبلا قوة ، وليس أمامهم إلا عذاب الله العظيم الذي تطير منه أفئدة وعقول الكفار والمشركين . وفي المقابل فإن المؤمنين الموحدين بالله المقرين بعظمة الله وقوته وحكمة كلماته وآياته ، والذين أقاموا لها وزنا وثقلا في نفوسهم وأعمالهم ، يكونون في منزلة عالية في جنات الله ونعيمه الخالد ، وهذا مؤشر باهر على قوة الله وقدرته ، التي جعلها الله رحمة للمؤمنين ، وزيادة لهم في النعيم . وهكذا نرى أن قوة الله كانت على الكافرين في الآخرة عذابا وانتقاما ، وأما على المؤمنين فكانت رحمة ونعيما وارتقاءا .

المبحث الرابع : حاجة الأمة في هذا الزمان إلى استشعار قوة الله تعالى

أولا: استشعار قوة الله تعالى يعطينا القوة

إن من يركن إلى جناب الله تعالى القوي ، ويلوذ بجنابه العظيم يكون قويا ، حتى لو كان ضعيفا أو فقيرا ، لأن الله تعالى وحده صاحب القوة الحقيقية ، فمن كان الله معه وفي صفه كان قويا ، ومن كان الله ضده يصبح ضعيفا ، يقول الله تعالى :{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ }(البقرة: 245) ، ويقول : {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }(الحج:40) .

يقول الطبري: " وقوله: {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ } ، أي : وليعيننّ الله من يقاتل في سبيله ، لتكون كلمته العليا على عدوّه ، فَنَصْرُ الله عبده ، معونته إياه، ونَصْرُ العبد ربه، جهاده في سبيله ، لتكون كلمته العليا ، وقوله: { إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } ، يقول تعالى ذكره: إن الله لقويّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في مُلكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب [2].

---

[1] - الشعراوي : **تفسير الشعراوي** ،6543/11.

[2] - الطبري: **جامع البيان** ،178/17 .

وقال الألوسي في تفسيره : " {وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ }، أي : لينصرن الله تعالى من ينصر دينه ، أو من ينصر أولياءه ، ولقد أنجز الله تعالى وعده ، حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب ، وأكاسرة العجم ، وقياصرة الروم ، وأورثهم أرضهم وديارهم ، { إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ } ، على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم ،{ عَزِيزٌ } لا يمانعه شيء ولا يدافعه[1] .

وجاء في تفسير الشعراوي عن هذه الآية قوله : " ما دام أن النصر من عند الله ، فإياكم أنْ تبحثوا في القوة ، أو تقيسوا قوتكم بقوة عدوكم ، فلربك عز وجل جنود لا يعلمها إلا هو، ووسائل النصر وأنت في حضانة الله كثيرة ، تأتيك من حيث لا تحتسب وبأهْون الأسباب ، أقلّها أن الله يُريكم أعداءكم قليلاً ، ويُكثِّر المؤمنين في أعين الكافرين ، ليفتَّ ذلك في عَضُدهم ، ويُرهبهم ويُزعزع معنوياتهم، وقد يحدث العكس ، فيرى الكفار المؤمنين قليلاً فيجترئون عليهم، ويتقدمون، ثم تفاجئهم الحقيقة . إذن:{ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ }(المدثر:31) ، فلا تُعوِّل فقط على قوتك وتحسب مدى تكافُئِك مع عدوك، دَعْكَ من هذه الحسابات، وما عليك إلا أنْ تستنفد وسائلك وأسبابك ، ثم تدع المجال لأسباب السماء. وأقلُّ جنود ربك أنْ يُلقي الرعب في قلوب أعدائك ، وهذه وحدها كافية [2] .

بعد هذا الكلام العذب لأكابر المفسرين ، أؤكد على ما قالوا بأن نصر الله لمن نصر دينه في الماضي أمر مقضي ومحتوم ، فإن الآيات شاهدة على هذا النصر ، والأحداث التاريخية الماضية تعج بها الكتب التي تتحدث عن النصر المؤزر للرسل وأتباعهم ، فهذه مسألة محكوم بها أزلاً ، قال الله تعالى:{ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ } (المجادلة: 21).

وهذه الحقيقة ، يجب أن يعتبر منها المسلمون في العصر الحاضر ، فالنصر له أسبابه ، ولا يطرق على المتواكلين الأبواب ، بل النصر واضح في المعادلة القرآنية ، وهي أن النصر من الله لمن نصر دينه ، ووالى الله ورسوله والمؤمنين إيمانا واحتسابا .

وهذه الأمة منصورة ومؤيدة من الله تعالى ، ولو حدث لأمة من الأمم ما حدث ويحدث لأمة الإسلام ، لفنيت من زمن بعيد ، فطُرق أعداء الإسلام ومكرهم في مواجهة المسلمين ورسالتهم

---

[1] - لألوسي : **روح المعاني**، 23/27.

[2] - الشعراوي : **تفسير الشعراوي**، 9826/16.

الخالدة ، لتزول منه الجبال ، ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا ويحفظهم من مكر وكيد أعـدائهم ، قال تعالى: { وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ }(النمل:50-51) ، فلنستشعر قوة وعظمة وقدرة الخالق جل وعلا أمام هذا الطغيان الجاهلي العارم ، وأمام أمواج الفتن المتلاطمة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى علينا أن نأخذ بأسباب القوة المتاحة ، حتى نُفَعِّل ما بين أيدينا من الطاقات ، والقدرات البشرية والمادية والعلمية ، من أجل الدفاع عن أنفسنا ، ونشر ديننا بعزة وكرامة وافتخار .

ثانيا : أهمية الدعاء باسم الله تعالى القوي

يقول الله تعالى : { وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا }(الكهف:39) .

في الآية الكريمة توجيه لكل واحد منا ، أن يظهر ضعفه وعجزه أمام الله ، وأن النعم التي يتقلب فيها العباد ، كلها من الله ، ومحفوظة بقوة الله ، إن شاء أبقاها وإن شاء سلبها .

يقول ابن كثير عن هذه الآية : " هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك ، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك ، وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ولهذا قال بعض السلف : من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة [1].

ويقول ابن تيمية : " ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين على شيء[2] .

وقال الشوكاني: " أي : هلا قلت :{ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ } ، تحضيضاً له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله ، إن شاء أبقاها ، وإن شاء أفناها ، وعلى الاعتراف بالعجز ، وأن ما تيسر له من عمارتها إنما هو بمعونة الله ، لا بقوته وقدرته[3] .

---

[1] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم**، 85/3 .

[2] - ابن تيمية ، أبو العباس أحمد عبدالحليم ، ت728هـ: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير** ، تحقيق : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، (مكتبة ابن تيمية ، ط2) ، 321/13 .

[3] - الشوكاني: **فتح القدير** ، 287/3.

وفي فضل هذا الدعاء ، وردت أحاديث كثيرة ، منها ما رواه أبو موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكنا إذا علونا كبّرنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيها الناس اربعوا[1] على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ولكن تدعون سميعا بصيرا ، ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال يا عبد الله بن قيس : قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة ، أو قال : ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة ، لا حول ولا قوة إلا بالله [2] .

ومعنى الكنز هنا أنه " ثواب مدخر في الجنة ، وهو ثواب نفيس ، كما أن الكنز أنفس أموالكم[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ،عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له : " يا أبا هريرة هل أدلك على كلمة كنزٍ من كنْزِ الجنة تحت العرش ، قال : قلت نعم فداك أبي وأمي ، قال : أن تقول لا قوة إلا بالله ، قال أبو بلج[4] ، وأحسب أنه قال : فإن الله عز وجل يقول أسلم عبدي واستسلم ، قال: فقلت لعمرو قال أبو بلج قال عمرو قلت لأبي هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال : لا إنها في سورة الكهف ، { وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ }[5].

---

[1] - اربعوا : ارفقوا ولا تجهدوا أنفسكم . انظر : الألوسي : روح المعاني ، 163/16 .

[2] - البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ت256هـ :**الجامع الصحيح** ، تحقيق : مصطفى البغا، (بيروت : دار ابن كثير /اليمامة ، ط3،1407هـ/1987م) ،كتاب الدعوات ، باب رقم 51، حديث رقم 6021 ، 2346/5.

[3] - مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ،ت261 : **صحيح مسلم بشرح النووي** ، (بيروت :دار إحياء التراث العربي ، ط2، 1392هـ) ، 26/17 .

[4] - أبو بلج ، بفتح أوله وسكون اللام ، الفزاري الكوفي ثم الواسطي الكبير ، اسمه يحيى بن سليم ، أو بن أبي سليم ، صدوق . انظر : مسلم ، مسلم بن الحجاج ، ت 261هـ : **الكنى والأسماء** ، تحقيق : عبدالرحيم القشقري ، (المدينة المنورة : الجامعة الاسلامية ، ط1 ، 1404هـ) ، 155/1 . الذهبي ، محمد بن أحمد ، ت748هـ : **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1995م) ، 3/ 323 . ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي ، ت852هـ: **تقريب التهذيب** ، تحقيق : محمد عوامة ، (سوريا : دار الرشيد ، ط1 ، 1406هـ - 1986م) ، 625/1 . ابن حجر ، أحمد بن علي : **تهذيب التهذيب** ، (بيروت : دار الفكر ، ط1 ، 1984) ، 49/12 .

[5] - ابن حنبل ،أبو عبدالله احمد بن حنبل الشيباني، ت241هـ : **مسند أحمد** ، (القاهرة : مؤسسة قرطبة) ، حديث رقم 8407 ،335/2 ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح دون قوله " تحت العرش " ، وهذا إسناد حسن ، أبو بلج هذا حسن الحديث وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

"وعن قيس بن سعد بن عبادة ، أن أباه دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخدمه ، قال: فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وقد صليت فضربني برجله وقال: ألا أدلك على باب من أبواب الجنة قلت: بلى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله [1] .

فالدعاء بهذا الاسم له تأثيره العجيب ، وهو كنز بيد المؤمنين ، وهذا الكنز يفعَّل بقوة الله ، عندما يكون القول منطلقا من قلب صادق حاضر مفعم بالإيمان ، متيقن بالإجابة ، أما أن يكون هذا القول مجرد كلمات تقال على اللسان ، بلا حضور قلب ولا يقين بالإجابة ، فيبقى هذا الدعاء بلا إجابة ولا أثر في حياة قائله ، والأكثر من ذلك أن ينشغل بالنعمة عن المُنْعِم ، فينسى المنعم الحقيقي لهذه النعمة ، فعلينا أن نستشعر قيمة هذا الدعاء في تحصين أنفسنا وأهلنا ومتاعنا ، ثم في تحصين أمتنا من حاسديها والمتربصين بها ، وأعتقد أن كل من يحصن نفسه وأهله والنعم التي بين يديه بهذه الأدعية الربانية ، من الشيطان وأتباعه ونيران شهواته ، فهو بهذا العمل تأتيه القوة من الله تعالى والرعاية والرشد ، وأيضا تأتيه الحصانة والرعاية بإذن الله ورحمته من نيران الجحيم يوم القيامة .

---

[1] - الترمذي ، أبو عيس محمد بن عيسى ، ت279هـ : **سنن الترمذي** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي)، كتاب الدعوات ، باب رقم 120 ، حديث رقم3581، 570/5 ، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب .

الفصل الثالث

أنواع القوة الرئيسة

المبحث الأول : القوة المعنوية " قوة القلب "

المبحث الثاني : القوة المادية " قوة البدن "

المبحث الأول :القوة المعنوية " قوة القلب "

أولا : أخذ التكاليف بيقين والعمل بها بقوة وعزيمة

قال الله تعالى:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }(البقرة:63) ، وقال تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }(البقرة:93) ، وقال تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ }(الأعراف:145) ، وقال : {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأعراف:171) ، وقال: { يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا }(مريم:12) .

في الآيات الكريمة بيانُ أنَّ التكاليف والآصار تحتاج إلى جد وعزيمة[1] وقوة ونشاط ، وعدم الكسل أو الميوعة والتراخي .

قال الإمام الطبري :"خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض ، فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم في أدائه ،من غير تقصير ولا توانٍ .وذلك هو معنى أخذهم إيّاه بقوّة وبجد[2].

وفي قوله تعالى ليحيى عليه السلام :{ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ } ، أمرٌ له بتعلم التوراة بجد وحرص واجتهاد[3] . قال الرازي : " أي باجتهاد في أداء الأمانة ، وتشدد في القيام بالدعوة وترك إظهار الوهن والضعف [4] .

وقال الشنقيطي : " بقوة : أي بجد واجتهاد ، وذلك بتفهم المعنى أولا حتى يفهمه على الوجه

---

[1] - انظر : الزمخشري : **الكشاف** ، 149/2 . الغرناطي ، محمد بن أحمد ، ت741هـ:**التسهيل لعلوم التنزيل** ، (لبنان : دار الكتاب العربي ، 1403هـ -1983م ،ط4) ، 45/2 . الشوكاني : **فتح القدير** ، 262/2 .

[2] - الطبري : **جامع البيان** ، 402/1 .

[3] - انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 114/3 . ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمد، ت597هـ : **تذكرة الأريب في تفسير الغريب** ، 56/1 .

[4] - الرازي : **مفاتيح الغيب** ، 161/26 .

الصحيح ، ثم يعمل به من جميع الجهات ، فيعتقد عقائده ويحل حلاله ويحرم حرامـه ويتـأدب بآدابه ويتعظ بمواعظه ، إلى غير ذلك من جهات العمل به [1] .

إن المتدبر في كتاب الله تعالى لَتمر عليه الآيات الكثيرة ، التي تشير إلى قوة الإيمان وأثره في حياة المؤمنين ، أفرادا وجماعات ، فالإيمان الراسخ في القلوب ، مع صدق التوكـل علـى الله ، والصبر على آصار التكاليف ، والتلذذ والرضا في تطبيقها ، يحمل المؤمن على فعل الأعاجيـب في التضحية والفداء ، وبذل الغالي والنفيس ، من أجل رفعة هذا الدين وسيادته وهيمنتـه علـى غيره ، قال تعالى :{ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }(آل عمران:139) وقـــال: {فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ }(محمد :35) ، فالمؤمنون الصادقون يتمتعون بفضل الله تعالى بإيمان قـوي ، يجعلهـم يستشعرون الرفعة والاستعلاء على غيرهم من الـكفار والمنافقين ، فلا يجد الضـعف والـوهن إلـى نفوسهم سبيلا .

فالمؤمن الذي يعمل بأوامر الله تعالى بإيمان وثبات وقوة وعزيمة ، يمده الله بـروح القـوة ، فيجعله قويًا وإن لم يكن معه سلاح ، عزيزا وإن لم يكن معه عشيرة ، غنيًا وإن لم يكـن معـه مال ، سعيدا وإن تكالبت عليه الدنيا ، ثابتًا وإن أحاطت به أمواج الفتن ، واضطربت به سـفينة الحياة .

ما أحوجنا في هذا الزمان ــ الذي انصرفت فيه العقول إلى القوة الماديـة ، فتـفننوا فـي تطويرها ، ففجروا الذرة ، وسبحوا في الفضاء ، وغاصوا في الماء ، وشمخوا في البنـاء ــ أن نصرف جل اهتمامنا للقوة الحقيقية ، قوة الروح ، التي فيها الريادة والسيادة والسعادة في الـدنيا والآخرة .

وأن نأخذ العبرة والعظة من عاقبة الذين أعرضوا عن الدين ، ولم يأخذوه بالاهتمام والجدية المطلوبة ، فكان عاقبتهم ومأواهم دار الفاسقين ، قال الله تعـالى : { فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ } (الأعراف:145) .

[1] - الشنقيطي: **أضواء البيان** ، 378/3 .

ثانيا:الثبات على هذه التكاليف

قال الله تعالى :{ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ }(النحل:92) .

إنَّ حال تلك المرأة الحمقاء ، التي تُحكِم الغزل ثم تنقضه وتفسد ما كان نافعاً محكماً من عملها وترجعه إلى عدم الصلاح ، فيه نهي عن أن يكون حالهم كحالها في نقضهم عهد الله ، وهو عهد الإيمان بالرجوع إلى الكفر وأعمال الجاهلية. ووجه الشّبه الرجوع إلى فساد بعد التلبّس بصلاح[1] .

الأصل في القوة الإيمانية أن تظل على وتيرة التصاعد في الدرجات ، والثبات على تكاليف الدين ، لأنَّ هذه العقيدة الإيمانية ، متأصلة في القلب ، وهي تعامل مع الله عز وجل ، فلا يجوز
الانتكاس عنها إلى مهاوي الردى ، والتنكر لمعاني الإيمان وفضائل الرحمن .

قال السعدي : " هذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها إذا كان بها برا ، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره ، كالعهود بين المتعاقدين وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكده على نفسه ، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها [2] .

إن الحاجة ملحة في الثبات والاستقامة على تكاليف هذا الدين القويم ، والتواصل مع معانيه المتجددة ، فلا يستغني مسلم عنه في أي زمان ومكان ، وفي عصرنا الحالي الذي تتلاطم فيه أمواج الفتن من كل جانب ، ينبغي للمسلم أن يَعَضَّ على تعاليم دينه بكل صدق وإخلاص ، ولا ينظر إلى الذين تنكبوا الطريق وابتعدوا عن الصراط المستقيم ، ووقعوا فيما حذر منه الرب الرقيب ، حيث قال : { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ } (الأنعام: 153) ، فهذه وصية الله لنا جميعا ، أن نبقى مرابطين في المواقع الإيمانية التي تزيدنا ثباتا ، ويقينا ، ومناعة ، هذا الثبات

---

[1] - انظر : ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 264/14 .

[2] - السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** ، 448/1 . وانظر : الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، ت370هـ : **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1405هـ) ، 292/1 .

في الحياة حتى الممات ، وحتى نفوز بالجنات بإذن رب البريات ، قال تعالى : { وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ }(الحجر:99) ، وقال تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ "(فصلت:30) .

ثالثا : تبليغ الناس لهذه التكاليف

قال الله تعالى : { وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ } (الأعراف:145) .

ما أعظمها من آية وما أجلها ، فالله تعالى يقول لموسى عليه السلام : { فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ } ، وهذا إرشاد لجميع الدعاة ، بأن يعلموا أن الأمر الطبيعي في التعامل مع اختيار الله وأمره ، كما في قوله تعالى :{فَخُذۡهَا } ،هو أخذه له بالرضا والممارسة لأنه اختيار الله للعبد ، فيجب التعامل معه بقوة اليقين وغاية الحب ، وهذا يظهر من خلال تبليغ هذا الدين وتعاليمه للآخرين ، كما في قوله تعالى : {وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ } ، أي " مرهم بالخير وانههم عن الشر ، يعني اعملوا بالخير وامتنعوا عن الشر [1] .

إن التبليغ والتبيين لهذا الدين ، هو أمر رباني ، وتكليف للأنبياء وأتباعهم ، من أجل إيجاد بيئة صالحة وطاهرة لممارسة شعائر الدين ، قال تعالى: { إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ }(فاطر:24) ، وقال تعالى : { مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ }(المائدة :99) . يقول البيضاوي :هذا " تشديد في إيجاب القيام بما أُمر به ؛ أي الرسول : أتى بما أُمر به من التبليغ ، ولم يبق لكم عذر في التفريط [2].

فالعمل بالتكاليف الإلهية يحتاج إلى قوة وصبر في مخالفة محبوبات النفس ، وإيثار محبوبات

---

[1] - السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد ، ت367هـ : **بحر العلوم** ، تحقيق : د.محمود مطرجي ، (بيروت : دار الفكر) 564/1 .

[2] - البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، ت685هـ : **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، (بيروت : دار الفكر) 370/2 .

الرب جل وعلا ، والأمر الأسمى والأعلى من ذلك ، هو دعوة الآخرين إلى الأخذ بهذه التكاليف، فهي مهمة ثقيلة ولكنها نبيلة ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :{ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } (المزمل:5) . يقول الزمخشري : " هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، وخاصة على رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ، لأنه متحمِّلها بنفسه ومحمِّلها أمته[1].

فهي إذن ثقيلة على النفس ، ثقيلة على الغير، فهنيئا لمن أعطاه الله القوة على تبليغ هذه التكاليف في زمان زمجر فيه الباطل ، وارتفع صوت أصحاب الأفكار الهدامة التي تذبح الأخلاق والعفاف وتنشر الرذيلة ، يدعون إلى باطلهم بكل ما أوتوا من قوة ، من غير خجل ولا وجل ، ويستعملون شتى أنواع الإغراء والاستمالة ، فانظر إلى قوة جلدهم وصبرهم على باطلهم فأين أنتم يا حماة الإسلام وحراس العقيدة ، أين أنتم يا أصحاب خير أمة أخرجت للناس ، أين أنتم يا مشاعل الهداية ، أين أنتم يا من بُعث نبيكم رحمة للعالمين ، أرضيتم بالزرع وأخلدتم إلى الأرض؟ فأمروا بالمعروف وانشروا الخير وانهَوْا عن المنكر ، ولا تأخذْكم في الله لومة لائم .

رابعا : **أخذ هذه التكاليف بالكلية والشمولية**

قال الله تعالى {وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ }(الأعراف:145) .

من فضل الله على عباده أنه أنزل كتبه فيها التفصيل لكيفية التعامل مع شتى القضايا الفردية والاجتماعية وغيرها ، كما في قوله تعالى : { وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } أي " تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، والحدود والأحكام[2] .

وفي هذا التفصيل والتكامل تكمن القوة الحقيقية في ذات الدين ، وهذه القوة الدينية الراشدة هي التي تكسب المؤمن قوته وصلابته الإيمانية التي تجعله قادرا على أخذ الدين بالكلية ، وهذا ما أمر الله به المؤمنين ، من خلال قوله تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً }(ألبقرة: 208) . قال الواحدي : " أي في جميع شرائع الإسلام [3]، وليس كما حدث مع

---

[1] - الزمخشري : **الكشاف** ، 639/4 .

[2] - البغوي : **معالم التنزيل** ، 200/2 . وانظر : وجدي ، محمد فريد : المصحف المفسر ، (القاهرة : دار النهضة ، ط6 ، 1372هـ - 1953م) ، ص222 .

[3] - الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، ت468هـ : **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، (دمشق – بيروت : دار القلم – الدار الشامية ، ط1 ، 1415هـ) ، 160/1 .

أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، يقــول الله تعــالى : { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ }(البقرة:85) ، قال أبو السعود: " إن من قضية الإيمان ببعضـــه ، الإيمان بالباقي ، لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق [1] .

فليس لأحد حق الاختيار في الدين بعد الله ورسوله ، قــال تعــالى : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }(الأحزاب: 36) .

قال البيضاوي : " فليس لهم أن يختاروا من أمرهم شيئا ، بــل يجــب علــيهم أن يجعلــوا اختيارهم تبعًا لاختيار الله ورسوله[2] .

مما سبق يظهر لنا جليا أن الدين مجموعة أعمال كالصلاة مثلا ، إذا أهملت ركنا من الصلاة لم تصح منك باقي الأركان ، فالدين كلٌ لا يتجزأ ، فلا يجوز مثلا أن أكــون حريصا جــداً في جانب العبادات لا أنقص منها شيئا ، بينما أكــون مقصرا في جانب المعاملات أو المعاشرات أو الأخلاق ، فهذا بلا شك فهم قــاصر يؤدي إلى عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع ، فما نلمسه في الحياة العامة من مشاكل وانحرافات داخل الفرد نفسه ، وفي الأسر والمجتمعات ، أكبر دليــل على ذلك ، ولا ينقذنا من هذا الضعف والهوان والتراجع الديني والأخلاقــي ، إلا أخــذ الــدين بكليته ، وهذا هو مراد وجود الدين بيننا ، وهكذا نستفيد من بركاته وخيراته ، يقول الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }(الأعراف:96) .

فكما صلحت الأمة في أول عهدها عندما أخذت الدين بكليته ولم تنقص منــه شــيئا ، هكــذا تصلح الأمة في هذا الزمان ، إن حذت حذوهم ، واقتفت أثرهم ، واستظلت تحت مظلة الكتــاب والسنة عن حب وطواعية .

---

[1]- أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** ،125/1 . وانظر : المراغي ، أحمد مصطفى : **تفسير المراغي** ، (بيــروت : دار الفكر، ط1 ، 1421ه – 2001م) ، 93/1 .

[2] - البيضاوي : **أنوار التنزيل** ،375/4 . انظر : الزحيلي ، د. وهبة : **التفسير الوسيط** ، (بيروت : دار الفكر ، ط1 ، 1427هـ -2006م) ، 2071/3 .

المبحث الثاني : القوة المادية " قوة البدن "

أولا: قوة الإنسان المجردة

إن القوة المجردة من العلم والأمانة لا قيمة لها ولا وزن ، يقول الله تعـالى : { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ }(المنافقون:4) .

يقول ابن عاشور: " شُبهوا بالخُشُب المسنَّدة تشبيه التمثيل في حُسن المرأى وعدم الجَدوى[1].

ويقول صاحب الظلال : " هي ليست خشباً فحسب . إنما هي { خشب مسندة }... لا حركة لها ، ملطوعة بجانب الجدار[2] .

وقال الزجاج : "وصفهم بتمام الصور ، ثم أعلم أنهم في ترك الفهم والاستبصار بمنزلة الخشب[3].

من المعلوم لدينا أن الدين جاء لضبط أخلاقنا وأنفسنا ، ومن ذلك ضبط قوتنا المادية حتى لا تصبح طائشة وهدامة ، فالقوة هي نعمة ومنحة ربانية ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي ، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير[4] ، فينبغي أن تصرف على الوجه الصحيح ، ولا يتأتى هذا إلا من خلال ضبطها بتوجيهات المولى سبحانه وتعالى الذي أعطانا إياها .

فالسياق التاريخي للأحداث الإنسانية يعلمنا بشكل قاطع ، أن القوة المادية مجردة من التوجيهات الدينية ، قد جلبت لأهلها الدمار والبوار في الدنيا والآخرة ، وكم من آيات قد نصحت أرباب السلطان بالحذر من عواقب القوة المنفلتة المجردة من الإيمان ، والتي لا تقيم وزنا لدين أو خلق .

---

[1] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 240/28 . وانظر : الصاوي ، أحمد بن محمد الخلوتي ، ت1241هـ: **حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين** ، تحقيق : محمد بن عبدالرحمن المرعشلي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1419هـ -1999م) ، 115/6 .

[2] - قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 3574/6 .

[3] - الزجاج : **معاني القرآن** ، 102/5 .

[4] - مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ،ت261هـ : **الجامع الصحيح** ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، كتاب القدر ، باب رقم 8 ، حديث رقم 2664 ، 2052/4 .

قـــال تعـــالى: { لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ }(آل عمـــــران:197/196) ، وقـــــال:{ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}(الأحقاف:26)

فهؤلاء ملكوا كل أسباب القوة ، يقول الرازي في تفسير الآية الأخيرة : " إنا فتحنـــا علـــيهم أبواب النعم ، وأعطيناهم سمعاً فما استعملوه في ســـماع الـــدلائل ، وأعطينــــاهم أبصــــاراً فمـــا استعملوها في تأمل العبر ، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفـــة الله تعـــالى ، بـــل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها ، فلا جرم ما أغنـــى ســـمعهم ولا أبصـــارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئاً [1] .

هذه النصائح لا زالت قائمة تحذر المجتمعات في كل زمان ومكان ، ومن ضمنها زماننا هذا الذي يطير بجناح المادية ويعوّل عليها كثيرا ، مع العلم أن عيوب هذا المسلك ، قد بدأت تظهـــر جليا في المجتمعات الغربية ومن على شاكلتها ، من خلال الانتكاســـات النفســـية والاجتماعيـــة والاقتصادية في ظل الانهيارات الكبيرة لمؤسسات عديدة في النظام الرأســـمالي فـــي العـــالم ، حـــتى أنه كثرت بشكل كبير المؤسسات والجمعيات التي تحذر من عواقب سيطرة الهيمنة المادية بألوانها المختلفة على العالم ، لذلك علينا أمة الإسلام أن نضبط قوتنا بديننا القـــويم ، وأن لا نغتر بالطفرة البشرية المادية الزائلة ، التي لا تصلح أن تكون قدوة لنا ولا بديلا عـــن ديننـــا الذي يطير بنا راشدين بجناحي المادة والروح .

ثانيا : قوة الإنسان المقترنة بالعلم والأمانة

قـــــال تعـــــالى : { قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ } (القصص:26) ، وقال تعـــالى : {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ }(البقرة:247) .

[1] - الرازي : **مفاتيح الغيب** ، 28/ 25 .

في الآيتين بيان أن اقتران القوة بالعلم والأمانة ، هو أمر ضروري من أجل أن تصبح القـوة ذات فعالية وحيوية ، فضبطها بالعلم والأمانة هو توجيهها في الطريق الصحيح حتى لا تصـبح عبثية ومنفلتة من أي خلق ودين وإنسانية ، فما أجمل أن نتوج القوة بتاجَيِّ العلم والأمانـة ، لأن هذين التاجين يكسبان القوة ، قوة وبركة وفعالية ، وهكذا تتواصل القـوة بـالقنوات الصـحيحة والمغذية لها ، حتى تصبح ملاذا لطلاب الإنصاف والعدالة .

ففي الآية الأولى يقول الله تعالى حكاية عـن بنـت شـعيب:{يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ } ، " وقولها كلام حكيم جامع ، لأنـه إذا اجتمعت الخصلتان ، أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك[1] ، وهـذان الوصـفان ينبغـي توفرهما في كل من يقوم بعمل كالإجارة أو غيرها[2] .

وفي قوله تعالى : { وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ } . يقول الألوسي : " وفـي تقـديم البسطة في العلم على البسطة في الجسم ، إيماء إلى أن الفضائل النفسانية أعلى وأشـرف مـن الفضائل الجسمانية ، بل يكاد لا يكون بينهما نسبة ، لا سيما ضخامة الجسم [3] . فـالعلم مـلاك الإنسان ، ورأس الفضائل ، وأعظم وجوه الترجيح ، وبسطة الجسم يظهر به الأثر في الحـروب ونحوها ، فكان قويا في دينه وبدنه وذلك هو المعتبر لا شرف النسب [4].

يتبين مما سبق أن الاتجاه السليم في تكليف الأنبياء والملوك الصالحين ، هو الجمع بين قـوة ووضوح الرسالات ، وبين العلم والأمانة ، فإلى جانب هذا التكليف والتشريف نجد المدح والثناء في القرآن لكل من كان قويا من الأنبياء والملوك الصالحين وغيرهم من سائر المـؤمنين ، لأن الهدف الأسمى من الرسالات السماوية هو صنع قيادة وأمة تتمتع بجانب كبير من القـوة والعلـم والأمانة ، فما الفائدة من بعث أمة جديدة لا تتميز بنهجها وفكرها وأخلاقها عن الأمم الأخـرى ، ونحن نرى اليوم كيف أن الأمم والشعوب والقيادات التي تتمتع بجانب كبير من القوة والسـيطرة قد ملأت الأرض سفكا للدماء ، وأعملت سلاحها في الأمم المستضـعفة ، وامتصـت خيراتهـا

---

[1] - الألوسي : **روح المعاني** ، 66/20 . وانظر : أبو حيان : **البحر المحيط** ، 109/7 .

[2] - انظر : السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** ، 614/1 .

[3] - الألوسي : **روح المعاني** ، 167/2 .

[4] - انظر : الشوكاني : **فتح القدير** ، 264/1 .

بسبب استعمالها للقوة المجردة من الأمانة والعلم المستوحيين من الدين ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهل يجوز للأمة أن تبقى عاجزة عن الرقي في قوتها وعلومها وأمانتها ، في زمـــان عزت فيه الأمانة ، وأصبحت الأنظار تتجه نحو إيجاد بديل للفوضى الحالية ، ولا يملــك القــوة الذاتيــة ، والعلم الراشد ، والأمانة الحقيقية في تغيير هذا الواقع المرير إلا هذا الدين العظيم .

ثالثا : قوة الملائكة

الإيمان بالمــلائكة من الأمور الغيبية ، ولا نعلم عن صفات الملائكـــة إلا مـــا ورد فـــي الكتاب والسنة الصحيحة ، وقد تحدثت الآيات عن صفات بعض الملائكة ، مثل الملاك جبريـــل عليه السلام الذي وصف بالقوة والأمانة ، قال تعالى :{عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ}(الــنجم:5) . أي " ملك شديد قواه ، وهو جبريل عليه السلام . فإنه الواسطة في إبداء الخوارق ، روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها ، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين [1] . وكان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده ، في أسرع من رجعة الطرف ، فهو لعمري أســرع مــن حركة ضياء الشمس [2] . وقال تعالى : {ذُو مِرَّةٍ فَٱسۡتَوَىٰ}(النجم:6) ، وهذه صفة أخرى مــن صفات جبريل عليه السلام ، والمِرَّة ، بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة ، تطلق على قوة الذات وتطلق على متانة وحصافة العقل وأصالته ورجاحته ، وهو المراد هنا ، لأنه قد تقدم قبله وصفه بشديد القوى ، وتخصيص جبريل بهذا الوصف ، يُشْعِر بأنه الملك الذي ينزل بفيوضات الحكمــة على الرسل والأنبياء[3].

وشبيه بهاتين الآيتين السابقتين ، قوله تعالى : { إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ }(التكوير:19- 21) ، جاء هذا في سياق المدح والثنــاء وتبليغ

الرسالة ، لأن الدين له أعداء إنسيون وجنيون يتربصون به ، فلا بد أن يكون حملة الرسالة ــ وهنا الملائكة ــ أصحاب قوة ورشد وأمانة ، وجبريل عليه السلام ، الذي اختاره الله أن ينــزل على الرُّسل بالتبليغ ، هو صاحب القدرة والاستطاعة لتنفيذ ما يأمر الله به من الأعمال العظيمة؛ العقلية والجسمانية . قال النسفي : "{ ذِي قُوَّةٍ } قدرة علـــى مـــا يكلــف ، لا يعجــز عنــه ولا

---

[1] - البيضاوي : **أنوار التنزيل**، 252/5 .

[2] - الألوسي : **روح المعاني** ، 47/27 .

[3] - انظر : ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 95/27 .

يضعف ، { عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ } عنــد الله { مَكِينٍ } ذي جــاه ومنزلـــة { مُّطَاعٍ ثَمَّ } أي فـــي السموات ، يطيعه من فيها أو عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن أمره ، ويرجعـــون إلى رأيه ، { أَمِينٍ } على الوحي [1] .

وهذه الصفات في مجموعها توحي بعناية الله سبحانه بالإنسان ، حتى ليختار هــذا الرســول صاحب هذه الصفة ليحمل الرسالة إليه ، وهي عناية تخجل هذا الكائن ، الذي لا يساوي في ملك الله شيئاً، فهذه كرامة من الله يتفضل فيها على هذا الإنسان[2] .

مما سبق يظهر لنا جليا أن الملائكة مخلوقات أمدها الله بقوة لتقوى على التحرك فـــي هــذا الكون الواسع لتنفيذ أوامر الله عز وجل ، وإذا كان الجبابرة يغترون بقوتهم وقواتهم علـــى هــذه الأرض ، فما هم إلا جزء يسير في هذا الكون الواسع ، وهذا تسلية للمؤمنين حتى لا يفتنوا بقوة الجبابرة ، لأن صيحة واحدة من مَلَك جديرة بأن تحول البشرية كلها إلى خمود .

ومن ناحية أخرى فإن إمداد الله لعباده المؤمنين بالملائكة كما حدث في بدر[3] وغيرها ، هـــو إرشاد للأمة في كـــل زمـــان أن تستعين بالله حتى يمدها بمدد من الملائكة التي تتصف بالـــقوة الهائلة ، ولكنها في الوقت نفسه ، منضبطة بوحي الله لها ، حتى تبقى ضمن حـــدودها وأمانتهـــا الصادقة .

رابعا : قوة الجن

الإيمان بالجن من الأمور الغيبية ، وهي مخلوقات غير مرئيـــة لنـــا ، والمعلومـــات عنهـــا نستمدها من الكتاب والسنة المطهرة ، وهي كغيرها من المخلوقات تتمتع بالقوة التي تليق بهـــا ، وقوتها أشد من قوة البشر ، قـــال تعـــالى :{ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْأَنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا }(الجن:9) ، فالقوة التي يتمتعون بها تمكنهم مـــن الوصـــول إلـــى مواضع لاستماع الأخبار من السماء ، ليعلموا بالحدث قبـــل أن يكـــون ، ويهبطـــون بـــه إلـــى الأرض ، فيوحون به إلى أوليائهم من الإنس ، ليحدثوا الناس ، فيفتنـــوهم عـــن ديـــنهم . قـــال الشنقيطي : " إن الجن أعطاهم الله القدرة على الطيران والنفوذ في أقطار الســـموات والأرض ،

---

[1] - النسفي، عبدالله بن أحمد ، ت710هـ : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، تحقيق : مروان محمد الشعار ، (بيروت : دار النفائس ، ط2 ، 2006م) ،320/4 .

[2] - انظر : قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 3842/6 .

وكانوا يسترقون السمع من السماء... فهم قادرون على بلوغ السماء من غير حاجة إلى صاروخ ولا قمر صناعي[1] .

كما يؤكد هذه الحقيقة حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه : " إن الملائكة تنزل في العنان ، فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم [2] .

وفي عهد سليمان عليه السلام سخر الله له الجن ، فكانوا يعملون أعمالا تظهر مدى قوتهم وقدرتهم على صنع الأشياء العجيبة ، قال تعالى : " يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ "(سبأ:13) ، وقال تعالى " وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ}(الأنبياء:82) .

والمحاريب: جمع محراب . والمراد بها : أماكن العبادة ، والقصور المرتفعة . والتماثيل: وهي صور شجر أو حيوانات . والجِفان: جمع جَفْنَة . وهى الآنية الكبيرة التي يوضع فيها الطعام . والجَوَاب : جمع جابية ، وهى الحوض الكبير الذي يجمع فيه الماء . والقدور: هي الآنية التي يطبخ فيها الطعام . وراسيات: أي ثابتات على قواعدها لا تنزل عنها لعظمها[3] .

قال ابن كثير : " منهم ما هو مستعمل في الأبنية الهائلة ، من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار ، يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها [4] .

ومنهم من استعد وانبرى لأن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين ، في مدة قصيرة جدا ، على الرغم من ثقله وبعده ، قال تعالى : { قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن

---

[1] - الشنقيطي : **أضواء البيان** ، 261/2 .

[2] - البخاري : **الجامع الصحيح** ، كتاب بدء الخلق ، باب 6 ، حديث رقم 3038 ، 1175/3

[3] - انظر : الألوسي : **روح المعاني** ، 118/22-119 .

[4] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 39/4 .

تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّى عَلَيۡهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ }(النمل:39) . والعفريت من الجن : " هــو القــويّ الشديد [1].

قال السعدي : " والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام ، فيكون بينه وبين سبأ نحــو مســيرة أربعة أشهر ، شهران ذهابا وشهران إيابا ، ومع ذلك يقول هذا العفريت أنا ألتزم بــالمجيء بــه على كبره وثقله وبعده [2] .

إن قوة الجن بحاجة إلى ضبط من وحي خالقها ، ولهذا بُعث الرسول صلى الله عليه وســلم للإنس والجن ، فكما أن علينا أن ننضبط بتعاليم ديننا لتوجيه قوتنا نحو الأهداف السامية ، كذلك على الجن أن تضبط قوتها بعدالة وأمانة الدين ، حتى لا تصرف قوتها للإضرار بعالمها وعــالم الإنس .

فالدين يحول دون أن يستشري الشر فيهم ، والإفساد بينهم وبين الناس ، فهــم عــالم ســبق وجود الجنس البشري ، وهو يغص بالغث أكثر من السمين ، وبالشر أكثر من الخيــر ، فالــدين خير لهم في الدنيا والآخرة ، وهو الذي يمدنا بالقوة الإيمانية والوسائل العديدة التي تجعلنا بحــول الله وقوته أقوى من وساوس شرورهم وأفعالهم التي يقصدون بها إيذاء البشرية ، فكم من جنــي وقع صريعا أو محروقا أو ولى هاربا وله ضراط عندما وجه المؤمن ســهام أدعيتــه وأذكــاره لمردة الشياطين ، فتغلبت قوة الإيمان على قوة الشيطان .

---

[1] - المحلي والسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر وجلال الدين محمد بــن أحمــد ، ت 911هـــ : **تفســير الجلالين**، (القاهرة : دار الحديث ، ط1) ، 499/1 .

[2] - السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** ، 605/1

الفصل الرابع

أسباب ومصادر القوة

المبحث الأول : الاعتصام بالله

المبحث الثاني : كثرة الاستغفار والتوبة

المبحث الثالث : الاجتماع وعدم التفرق

المبحث الرابع : المشورة

المبحث الخامس : الصبر

المبحث السادس : الإعداد للقوة الرادعة

المبحث السابع : المعونة الخارجية

المبحث الثامن : تسخير ما في الأرض من قوة ومنافع في المعادن لصالح الإنسانية

تمهيد :

الناظر في التوجيهات القرآنية يرى أن الله تعالى أمد أمَّة الإسلام بالأسباب التي تؤهلها لقيادة العالم ، وحَلِ مشاكله . ومن هذه الأسباب والمصادر تتألف القوة الحقيقية التي تصل بالأمة إلى مبتغاها من العزة والكرامة والسيادة والريادة والرفعة والتمكين في الأرض . والمسلم مكلف أن يكون قويا عزيزا ، وأن يجمع ما يستطيع من عناصر القوة لتكون كلمة الله هي العليا ، فيواجه أعباء هذه الحياة واختباراتها بقوة وشجاعة وصبر وثبات ، فلا يضعف أمام المصائب ، أو يسقط أمام الشهوات ، أو يكسل أمام العبادات .

وهذه الأسباب والمصادر التي تتمثل في :

- الاعتصام بالله ، والتوكل عليه .
- كثرة الاستغفار والتوبة .
- الاجتماع وعدم التفرق .
- المشورة .
- الصبر واليقين .
- الإعداد المتواصل للقوة التي تردع وترهب العدو .
- تعمير الأرض وتسخير ما فيها من خيرات لصالح الإنسانية .

هذه هي أسباب القوة التي أخذ بها الرعيل الأول ، فدانت لهم البلاد ، وامتلكوا قلوب العباد ، واستطاعوا أن يتغلبوا على أكبر إمبراطوريتين في ذلك العصر ، الفرس والروم . وبقيت دولة الإسلام قائمة ، عندما أخذت بأسباب القوة الحقيقية ، ولكن خلف من بعدهم خلف غيروا وبدلوا ، وتنازعوا على الحكم والسلطان ، وانشغلوا بزينة الحياة الدنيا ، وتنافسوا عليها فأصابهم الوهن والضعف ، وأصبحوا للأسف في ذيل القافلة . فعلى الأمة الإسلامية اليوم ، أن تلجأ إلى الله ، لكي يقوى ظهرها ، ويشتد أزرها ، وأن تأخذ بأسباب القوة التي تعيد لها مكانتها ومجدها وسؤددها.

المبحث الأول : الاعتصام بالله

قال تعالى : { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا }(النساء:175) .

وقال تعالى : { فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ }(الحج:78) .

في الآيتين الكريمتين بيان أن الاعتصام بالله هو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتماء به فهو الذي يدافع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب ويحميه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن وشر نفسه[1] "فالاعتصام بالله هو الامتناع بطاعته من كل ما يُخاف عاجلا وآجلا [2] .

وهذا يُظهر أن الاعتصام بالله من أهم أسباب ومصادر القوة عند المؤمن ، فنحن المؤمنين لا ملجأ لنا ولا ملاذ إلا بأن نعتصم بجناب الله القوي ، وذلك بالشعور والاعتقاد القلبي بأن الله معنا ومصاحبنا في سيرنا في هذه الحياة الدنيا حتى يعيننا على عبادته وعلى مواجهة أعباء الحياة بشتى ألوانها وصورها . قال ابن عاشور : " اجعلوا الله ملجأكم ومنجاكم [3] .

فالمؤمن لا يستغني عن الله أبدا لا في الشدة ولا في الرخاء ، وكلما اشتد اعتصام المؤمن بربه فإنها تقوى عزته وإرادته الإيمانية على مواجهة الأحداث بكل صبر وثبات ، فالضعف صفة إنسانية مهما أوتي الإنسان من أسباب القوى المادية ، فهو بحاجة إلى الاعتصام بمن يملك جميع هذه الأسباب ألا وهو الله القوي ، فباعتصام المؤمن بربه يبقى قويا في سيره ومحفوظا من أعدائه ، وما سوى ذلك فهو انتكاس إلى الضعف والتبعية المهينة .

---

[1] - انظر: ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي : **مدارج السالكين** ، تحقيق: رضوان جامع رضوان ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ط1 ، 1422هـ) ،462/1 .

[2] - السمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد ، ت489هـ: **تفسير السمعاني** ،(الرياض:دار الوطن ،ط1 ،1418هـ)،495/1

[3] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ،17/ 352 .

المبحث الثاني : كثرة الاستغفار والتوبة

قـــــال تعــــــالى: { وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى }(هود:3) .

وقــال تعــالى : { وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ }(هود:52) .

في الآيتين الكريمتين " قدم الإرشاد إلى الاستغفار على التوبة ، لكونه وسيلة إليها . وقيل: إن التوبة من متممات الاستغفار؛ وقيل معنى { استغفروا }: توبوا. ومعنى { توبوا }: أخلصوا التوبة واستقيموا عليها . وقيل: استغفروا من سالف الذنوب ، ثم توبوا من لاحقها . وقيــل: اســتغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة "[1]. وبالاستغفار والتوبة نتحصل على الإمداد مــن الســماء ونكون أهلا للاستزادة من خزائن الله ، قــال تعــالى : { وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ } . قــال الشوكاني: " شدة مضافة إلى شدّتكم، أو خصباً إلى خصبكم، أو عــزّاً إلــى عــزّكم"[2] . وقــال الزجاج: " يزدكم قوّة في النعم "[3] .

مما سبق يتبين لنا أن الاستغفار من الذنوب والمعاصي هو عامل من عوامل القــوة النفســية والاجتماعية والأخلاقية فــي الأمة ، فبالاستغفار الدائم والملازم لأفراد الأمة تأتي العصمة مــن العذاب بشكل عام ، سواء كان هذا العذاب دنيويــا أو أخرويــا ، قــال تعــالى : {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ }(الأنفال:33)، فنحن إذن فــي مأمن من العذاب والهموم والأمراض والجدب ما دمنا ملتزمين بالاستغفار والتوبة ، فعلى أمتنــا ــ أفرادا ومجتمعات ــ أن تعي هذه الحقيقة القرآنية في قضية الاستغفار لتجعلها واقعا ملموســا ومطبقا في حياتها وعباداتها ، لأن الإهمال في هذه القضية المهمة في ديننا وحياتنا سوف يســلب منا بركة الانتفاع بهذه التوجيهات الكريمة ، وقوله تعــالى : { وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ } يــوحي بأن الإجرام ثمرة الإعراض عن الاستغفار والتوبة ، والإعراض عن الاستقامة على الدين القويم ثمرة التبعية لوسوسة شياطين الإنس والجان .

---

[1]- الشوكاني : **فتح القدير** ، 481/2 .

[2]- **المصدر السابق** ، 505/2 .

[3]- الزجاج : **معاني القرآن وإعرابه** ، 185/2

فلا عجب إذن ما نراه اليوم من تفاقم حالات الإجرام والقتل والانحراف الفكري والسلوكي في مجتمعاتنا ، المعاصرة رغم وجود قوانين العقوبات في الدول التي من أهدافها ردع الجرائم وغيرها من المخالفات القانونية .

المبحث الثالث : الاجتماع وعدم التفرق

قال تعالى : { وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ }(آل عمران:103) .

وقال تعالى : { وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ }(الأنفال:46) .

وقال تعالى : {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ }(الشورى:13) .

إن الدين الإسلامي هو سبب عزتنا ووحدتنا وقوتنا وهو النبع الذي يغذينا بروح التعاون والاجتماع وعدم التفرق والتنازع ، قال تعالى : {وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ } ، معناه " ولا تختلفوا فتضعفوا ،{ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } ، معناه جدكم وجهدكم "[1] . وجاء في تفسير الجلالين :

"{ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } ، أي : قوتكم ودولتكم "[2] ، والتفرق سبب للتخاذل والفشل وذهاب القوة والوحدة[3] .

من خلال الآيات السابقة نرى أن وصية الله للأمة هي التمسك بالدين ، والاجتماع عليه لأن المسلمين كلما كانوا قريبين إلى الدين فهم حتما قريبون إلى بعضهم البعض ، وهكذا ينجون من التفرق وضيق الصدر ، وهذه الوصية مشدد عليها في الدين ، وذلك لأهميتها والنتائج الوخيمة المترتبة على التحلل منها ، فالواجب على أمتنا الإسلامية التي أمرت بإقامة الدين ، كما في قوله تعالى : { أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ } ، والواجب عليها أيضا أن لا تتفرق فيه ، لقوله تعالى : { وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ } فكيف للأمة أن تقيم الدين في بيئة يهيمن عليها التنازع والتفرق ، في حين أن الشرائع والعبادات كلها تصب في صالح الاجتماع والوحدة ، كما هو الحال في الصلوات والحج

---

[1]- السمعاني : **تفسير السمعاني** ، 270/2 .

[2]- المحلي والسيوطي: **تفسير الجلالين** ، 235/1 . وانظر: شهاب الدين ، أحمد بن محمد ، ت518هـ : **التبيان في تفسير غريب القرآن** ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي ، (القاهرة : دار الصحابة للتراث ، ط1، 1992م) ، 219/1 .

[3]- انظر :ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** ، 317/2 .

وغيرها ، ولقد آن الأوان لأمتنا أن تخرج من تشرذمها وتفرقها ، وأن تنتفع بتعاليم ربها لتصبح أمة لها استقلالها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، كما هو الحال في الدول الغربية التي توحدت في سياستها وعملتها وثقافتها بسبب تعاونها في القضايا ذات الاهتمام المشترك .

المبحث الرابع : المشورة

قال تعالى : { قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ }(النمل:33) .

بما أننا نعتبر أن الشورى هي مصدر للقوة ، وهذا الأمر نسترشد به من تعاليم ديننا الحنيف ، من خلال قصة بلقيس التي كانت تتسلح بمبدأ الشورى مع مستشاريها ، وتستعطفهم وترفع من مكانتهم ، وهذا يتبين من خلال الآية الكريمة التي تحدثنا عن الرسالة التي وصلت إليها من نبي الله سليمان عليه السلام ، وكيف أنها لم تنفرد بردها على تلك الرسالة ، بل إنها جمعت كبار قومها واستشارتهم في كيفية الرد ، قال تعالى حكاية عنها : { قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي } . قال الماوردي : " أفتوني أشيروا عليّ في هذا الأمر الذي نزل بي ، فجعلت المشورة فتيا "[1] . ورفعت من شأن المشورة وأنزلتها منزلة الفتيا لسببين ، أولا : لأن الفتيا تكون على الغالب جوابا للحوادث المعضلة ، ثانيا : لرفع مكانة مستشاريها وإشعارهم بأنهم قادرون على حل المشكلات الصعبة[2].

وهذا الأسلوب في إدارتها للحوادث التي تواجهها قد أكسبها قوة في القرار ، ورشدا في السلوك والمعاملات العامة ، وتمكنا من حكمها ، قال تعالى حكاية عن بلقيس : { مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ } ، " شأنها دائماً مشاورتهم في كل جليل وحقير "[3] . وقال النيسابوري في تفسير الآيات السابقة : " أرادت بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم واستطلاع آرائهم ، فأجابوا بأنهم أصحاب القوى الجسدية والخارجية، ولهم النجدة والبلاء في الحرب ، ومع ذلك فوضوا الأمر إليها ، فما أحسن هذا الأدب "[4].

---

[1]- الماوردي : **النكت والعيون** ، 207/4 .

[2]- انظر : أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** ، 284/6 .

[3]- البقاعي : **نظم الدرر**، 423/5 .

[4]- النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد القمي ،ت728هـ: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ،(بيروت:دار الكتب العلمية ،ط1 ، 1416هـ) ، 304/19 .

إن مبدأ الشورى منصوص عليه في القرآن الكريم على أنه واجب على المسؤولين حتى يكتسبوا القوة والشرعية والرشد في أمورهم وقراراتهم ، ودائما فإن النتيجة المتحققة بسبب الشورى هي نتيجة مرضية ومقبولة في الشرع الحنيف مهما كان شكلها ، لأن الشورى دائما هي مصدر القوة والوحدة والرشد ، وقد رأينا في معركة أحد كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد شاور أصحابه في الخروج أو عدم الخروج من المدينة للقتال[1] ، وقد تبنى الرأي المخالف لرأيه لأن القضية لم تكن وحيا من الله ، وإنما هي قضية تتعلق بمصالح الأمة الوقتية وهي قابلة للشورى ، فعلى الرغم من أن النتائج لم تكن على الوجه المطلوب ، وقد تكون مدعاة لتفريق الأمة ، ولكن بسبب الشورى حفظت الأمة وتوحدت الكلمة .

وأكد القرآن الكريم على مبدأ الشورى ، فجاءت الآية التي تأمر بالشورى مباشرة بعد الحديث عن غزوة أحد ، قال تعالى : {وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ }(آل عمران:159) . قال الشوكاني :" أي الذي يَرِدُ عليك : أيَّ أمر كان مما يشاور في مثله أو في أمر الحرب خاصة كما يفيده السياق ، لما في ذلك من تطييب خواطرهم واستجلاب مودتهم ، ولتعريف الأمة بمشروعية ذلك "[2] .

من هنا ندرك عظمة الأخذ بمبدأ الشورى في زماننا هذا ، وعلى أهل الحل والعقد في أمتنا الإسلامية أن يرسخوا هذا المبدأ في حياتهم السياسية والاجتماعية وغيرها من الأمور ، لتخرج أمتنا من وضعها المهين الذي وصلت إليه بسبب تخلي قياداتها وأفرادها عن ممارسة الشورى ، فحل فيها ما نرى من الفرقة والتنازع وانتشار الفوضى ، فما نراه اليوم من اتخاذ قرارات فردية في كثير من المجالات السياسة والعسكرية والاجتماعية ، قد جر على الأمة هزالا في هذه المجالات ، مما جعل الأمم الأخرى تطمع فيها وتسيطر على طاقاتها وأراضيها واستقلالها ، وتلحق بها الويلات والدمار ، في حين نرى أن الأنظمة التي تتبنى مبدأ الشورى ولو جزئيا تسعد مجتمعاتها بالقوة والازدهار والاستقرار.

---

[1]- البخاري : **الجامع الصحيح** ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب رقم 28 ، حديث رقم 6934 ، 2682/6 .

[2]- الشوكاني : **فتح القدير** ،393/1 . وانظر : ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبدالله ، ت543هـ : **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، (بيروت: دار الفكر) ، 486/3 .

المبحث الخامس : الصبر

أكد القرآن على الصبر في الكثير من الآيات ، وذلك لحاجة المسلم إلى الصبر في شأنه كله ، يقول ابن القيم : " إن كل مقامات الدين مرتبطة بالصبر من أولها إلى آخرها "[1] .

" وذَكر الله الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً ، وأضاف أكثر الخيرات إليه فقال : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا }(السجدة:24) ، وقال : { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا }(الأعراف:137) ، وقال: { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }(الزمر:10) ... وعلق النصرة على الصبر فقال : { بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ }(آل عمران:125) "[2].

وإن الملائكة لتحيي أهل الجنة وتسلم عليهم بفضل صبرهم وتقول لهم :{ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }(الرعد:24) ، "وحقيقة الصبر أنه خلق فاضل من أخلاق النفس ... يُمتنعُ به من فعل ما لا يَحسنُ ولا يَجمُل . وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها "[3] .

فالقوة التي اكتسبها المسلم من الصبر جعلته قويا في عقيدته ، وفي كرامته ، وفي عبادته ، وفي معاملاته اليومية ، وفي مواجهته لكيد الشياطين من الإنس والجان ، وهذا يؤهله لأن يكون قويا ورائدا في الإمامة والسيادة والأهلية لدخول الجنة .

فالأمة الإسلامية التي تنتمي لأعظم رسالة ولأعظم كتاب نزل من السماء ، عندها ذخر يفيدها في قوتها ووحدتها وكرامتها وإمامتها ألا وهو الصبر ، وقد أمرت هذه الأمة بالصبر عن الشهوات حتى لا تكون ذليلة وضعيفة وراء أمور تافهة وشهوات زائلة ، وهي التي أمرت بالصبر على الابتلاءات مهما كان حجمها ، لأن الابتلاءات هي سنة في حياة الأمة ، وقد يستغل أعداء الأمة هذه الابتلاءات للنيل من قوة وكرامة وعقيدة المسلمين ، فكان الصبر هو الرد

---

[1]- ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ت751هـ : **عدة الصابرين** ، (بيروت:دار التراث العربي، 1980م)، ص14 .

[2]- الرازي: **مفاتيح الغيب**، 138/4 .

[3]- ابن القيم : **عدة الصابرين**، ص11 .

الشافي والكافي على هؤلاء ، وهي التي أمرت بالصبر على الطاعات حتى تكون قوية في أخذ الطاعة وعدم التراخي أمام طول الزمان وكيد الشيطان . قال تعالى : {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }(آل عمران:200).

المبحث السادس : الإعداد للقوة الرادعة

قال تعالى { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }(الأنفال:60) .

القوة لا تأتي من الفراغ والتمني ، وإنما تتشكل بفضل الله أولا ثم بالإعداد لها ، لأنها ليست ثابتة وإنما تقتضي التطوير والإعداد المتواصل لملائمة الظروف المتجددة ، وهذا التطوير يأتي عندما تتضافر الجهود الجماعية في الأمة ، وهذا يفهم من قوله تعالى:{وَأَعِدُّوا} ، فلا غرو إذن أن يأتي الأمر للأمة بالإعداد { وَأَعِدُّوا } ، وهذا يستوجب على الأمة أن تعد العدة والقوة الإيمانية والأخلاقية والعسكرية والعلمية والاقتصادية لحماية الدين والأمة والوطن .

قال سيد قطب رحمه الله : " إنه يجب على المعسكر الإسلامي إعداد العدة دائماً واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة ؛ لتكون القوة المهتدية هي القوة العليا في الأرض ؛ التي ترهبها جميع القوى المبطلة ؛ والتي تتسامع بها هذه القوى في أرجاء الأرض فتهاب أولا أن تهاجم دار الإسلام ، وتستسلم كذلك لسلطان الله "[1] .

فالإعداد له أركان ، ومن أركانه أفراد الأمة وطاقاتهم المالية والعلمية وغيرها ، وهذا يقتضي أن تسخر الدولة ميزانيات خاصة لتطوير قوتها ، وأن يسخر أفراد الأمة إنفاقهم لحماية الجبهة الداخلية ، ودعم برامج الدولة للإعداد المتكامل للقوة . يقول سيد قطب رحمه الله : " ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً ، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل ، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله { وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }(الأنفال:60) ، وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي؛

[1]- قطب، سيد : **في ظلال القرآن** ، 1538/3 .

ومن كل شعور قومي أو طبقي ، ليتمحض خالصاً لله { فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ } لتحقيق كلمة الله ، ابتغاء رضوان الله "[1].

فالمؤمنون مأمورون بإعداد العدة دائما قدر استطاعتهم ، ثم يطلبون العون من الله ، فمــدد الله يجعل المؤمنين هم الأقوى مهما كانت قوة عدوهم ، وكان الهدف قــديما وحــديثا أن يمتلــك المقاتل قوة تمكنه من عدوه ولا تمكن عدوه منه ، وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مدى رمي السهام هو القوة ، ولذلك فسر الرسول صلى الله عليه وسلم القــوة بقولــه : " ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي "[2] ، لأنك بالرمي تتمكن من عــدوك ولا يتمكن هو منك ، فإذا تفوقت في الرمي كنت أنت المنتصر . وفي العصــر الحــديث تطــورت أسلحة الرمي الفتاكة ، فبعد أن كانت المدفعية لفترة من الزمن هي السلاح المحقق للنصر لبعــد مداها ، جاءت الطائرات لتصبح هي السلاح الأقوى لأنها تستطيع أن تقطع مسافة طويلة وتلقي بقنابلها وتعود ، ثم بعد ذلك جاءت الصواريخ ، والصواريخ عابرة القارات ، إلى آخر الأسلحة المتطورة التي تتسابق على اختراعها الدول الآن ، والهدف أن تنال كل دولة أرض عــدوها ولا يستطيع هو أن ينال أرضها[3] .

ويضيف الحق تبارك وتعالى:{ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ } ورباط الخيل هو القــوة التــي تحتــل الأرض ، لأن راكبي الخيل كانوا يدخلون المعركة في الماضي بــعد الرمي ليحتلــــوا الأرض وهذه عملية تقوم بها المدرعات الآن ، فالطائرات والصواريخ تهلك العدو وتحطمــه ولكنهــا لا تأخذ الأرض ، وهذا من الإعجاز في الأداء القرآني أنه أعطانا ترتيبا للحرب في كيفية اســتخدام القوة ، فتبدأ بالرمي ثم بالخيل ، ونجد في زماننا هذا كل قوة للسيارة أو المدرعة أو الدبابة إنمــا تقاس منسوبة إلى الخيل ، فيقال قوة خمسة أحصنة أو خمسمائة حصان[4] .

---

[1]- المصدر السابق: 1544/3 .

[2]- مسلم : **الجامع الصحيح** ، كتاب الإمارة ، باب رقم 52 ، حديث رقم 1917 ، 1522/3 . أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت275هـ : **سنن أبي داود** ، تحقيق : محمد محيي الدين ، (بيروت : دار الفكر) ، كتاب الجهاد ، باب رقم 23 ، حديث رقم 2514 ، 13/3 . ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد ، ت275هـ: **سنن ابن ماجة** ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، (بيروت : دار الفكر) ، كتاب الجهاد ، باب رقم 19 ، حديث رقم 2813 ، 940/2 .

[3]- انظر : الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ص4776-4779 . رضا ، محمد رشيد : **تفسير المنار** ، تحقيق : فؤاد سراج عبدالغفار ، (القاهرة : المكتبة التوفيقية) ، 53/10-54 .

[4]- المصدر السابق نفسه .

إن التجارب المعاصرة تكشف بكل وضوح أن القوة أمر مركزي في حياة الأمة ، فها نحن نرى أن القوى الغاشمة قد تكالبت على أمتنا في شتى بقاع العالم بسبب ضعف قوتها وعدم تماسكها واستغلالها للطاقات المالية الهائلة التي بين أيديها ، بينما نرى أن الأعداء الذين خبروا في القضايا العسكرية والعلمية والاقتصادية قد استغلوا هذه الخبرات استغلالا سيئا مع الأمم الضعيفة ، لهذا كان على أمتنا الإسلامية أن تتسلح بقوتها وعلمها ووحدتها وأموالها ، ليس من أجل العدوان على الآخرين ، وإنما من أجل الوصول بالأمة إلى الاكتفاء الذاتي والاستقلال الحقيقي ، ولردع كل مخططات الطامعين في خيرات أمتنا ولإرهابهم حتى لا يعتدوا عليها .

المبحث السابع : المعونة الخارجية

قال تعالى : { قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ }(هود:80) .

هذه الآية الكريمة حكاية عمّا قاله لوط عليه السلام ، فهي تبين مدى الأسى والحزن والوجع النفسي الذي وصل إليه هذا النبي الكريم الذي دعا قومه إلى الكف عن فعل الفاحشة النكراء ، ولكنه قوبل بالعناد والبلادة والاستهزاء ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اقتحموا عليه بيته ، وأرادوا أن يفضحوه في ضيفه ، فلم يجد منهم رجلا رشيدا ينصره أو يؤازره أو يستجيب لنصحه ، بل اجتمعت كلمتهم على الرذيلة والفاحشة ، وهو الغريب الوحيد بينهم لا حول له ولا قوة ، فقال هذه الكلمات المؤلمة : { لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ } . يقول ابن كثير : "{ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً } لكنت نكلت بكم ، وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي ... فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليه ، وأنهم لا وصول لهم إليه { قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ }(هود:81) "[1] .

وقال الشوكاني : " لو قويت على دفعكم أو آويت إلى ركن شديد ... ومراده بالركن الشديد: العشيرة ، وما يمتنع به عنهم هو ومن معه. وقيل: أراد بالقوّة: الولد، وبالركن الشديد: من ينصره من غير ولده ، وقيل أراد بالقوة قوته في نفسه "[2]. وشبه القوي العزيز بالركن من الجبل

---

[1] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 455/2 .

[2] - الشوكاني : **فتح القدير** ، 515/2 .

في شدة قوته ومنعته[1] . " وإنما قال هذا القول مع أنه كان يأوي إلى الله تعالى ، لأنه إنما أراد العدة من الرجال ، وإلا فله ركن وثيق من معونة الله ونصره "[2] .

كما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : " يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد "[3] .

مما سبق يظهر لنا جليا أن المؤمن قوي بأخيه ، وأنه يحتاج إلى القوة والسند أحيانا . فالجماعة المؤمنة تحتاج بعد الاتكال على الله تعالى إلى المعونة الخارجية التي تشد من أزرها في حالة الضعف ، وتقف بجانبها حتى تخرج من محنتها ، وفي هذا الزمان تكالب الأعداء على هذه الأمة ، فلا تجد بلدا مسلما إلا والدائرة والاعتداء عليه ، فعلى الأمة الإسلامية أن تتقوى ببعضها، لردع المعتدين وأن تتعاون فيما بينها . ولا ضير أن تأخذ بالأسباب وتتحالف مع غيرها من غير أن تتنازل عن شيء من تعاليم دينها ، وإنما الهدف تقوية شوكة الإسلام ورفع رايته .

المبحث الثامن :تسخير ما في الأرض من قوة ومنافع في المعادن لصالح الإنسانية

قال تعالى : { لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ }(الحديد:25) .

في الآية الكريمة بيان أن الله خلق الحديد وأوجده ، وأنعم به علينا ، ليكون قوة شديدة لنا في الدفاع عن أنفسنا ، وفى تأديب أعدائنا ، وليكون كذلك مصدر منفعة لنا في مصالحنا وفى شؤون حياتنا . " فمن الحديد تكون السيوف وآلات الحرب ومنه - ومعه غيره - تتكون القصور الفارهة ، والمباني العالية الواسعة ، والمصانع النافعة... وآلات الزراعة والتجارة "[4] .

---

[1]- انظر: الزمخشري : **الكشاف** ، 392/2 .

[2]- الطوسي: **التبيان في تفسير القرآن** ، 42/6 .

[3]- البخاري : **الجامع الصحيح** ، كتاب التفسير ، باب رقم 5 ، حديث رقم 4417 ، 1731/4 .

[4]- طنطاوي : **التفسير الوسيط** ، 78/3 .

والمفسرون جميعا[1] فسروا كلمة { وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ } في الآية الكريمة بمعنى أوجدنا أو هيأنا أو خلقنا أو أمرنا أو أنشأنا ، والحقيقة أنه ثبت علميا مؤخرا كما هو ثابت قرآنيا ، أن الحديد أنزل من السماء ، نزولا حقيقيا ، ولم يصل العلم الإنساني إلى إدراك هذه الحقيقة إلا في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين .

فثبت لعلماء الفلك والفيزياء الفلكية في أواخر القرن العشرين أن الحديد لا يمكن أن يتكون إلا في مراحل محددة من حياة النجوم تسمى ب" العماليق الحمر" ، والتي بعد أن يتحول لبها بالكامل إلى حديد تنفجر على هيئة كتل كبيرة ، وبانفجارها تتناثر مكوناتها في صفحة الكون وتتنزل إلى الأرض على هيئة وابل من النيازك الحديدية ، والتي تصطدم بغلاف الجو ، ثم تنزل بتقدير من الله على هيئة ذرات صغيرة جدا مندفعة إلى قلب الأرض ، التي كانت يوم أن خلقها الله كومة من الرماد ، حتى أصبحت نسبة الحديد تشكل اليوم 35،9% من كتلتها ، وتتناقص نسبة الحديد من لب الأرض إلى الخارج باستمرار حتى تصل إلى 5،6% في قشرة الأرض[2] .

ولولا هذا المعدن فربما لا تستقيم الحياة على الأرض ، ولا تنعم بالأمن ، فحياة كل كائن حي متوقفة على الحديد ، سواء كان إنسانا أو حيوانا أو نباتا ، وهو أكثر المعادن ثباتا وقوة ومرونة وتحملا للضغط ، كما يعد أكثر العناصر مغناطيسية على الأرض وذلك لحفظ جاذبيتها ، وهو العنصر الوحيد الذي تحتاج ذرة واحدة منه لكي تتكون إلى طاقة هائلة تعادل أربعة أضعاف طاقة المجموعة الشمسية برمتها[3].

وهناك الكثير من المعادن المكنوزة في الأرض تستغل لخدمة الإنسانية ونماء حياتها ، ولكن الله تعالى أبرز معدن الحديد في العديد من آيات القرآن الكريم،كما في قوله تعالى في قصة نبي الله داود عليه السلام : { وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ }(سبأ:10) ، وكما في قصة ذي القرنين ، { ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ }(الكهف:96) ، وكما في قول الله تعالى لمنكري البعث : { قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا }(الإسراء:50) ، مما يدل على الأثر الكبير الذي يحدثه هذا المعدن في حياة

---

[1] - انظر مثلا : الرازي : **مفاتيح الغيب** ، 211/29 .الزمخشري :**الكشاف** ،478/4 . القرطبي ، أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر ، ت671هـ : **الجامع لأحكام القرآن** ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني ، (القاهرة : دار الشعب ، ط2 ، 1372هـ) ، 261/17 . البغوي : **معالم التنزيل** ، 300/4 .

[2]- انظر: النجار ، زغلول راغب: **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم** ، (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ط1 ، 2007م)،ص139-143 .

[3] - انظر : الصوفي ، ماهر أحمد : **آيات العلوم الأرضية** ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ط1 ، 2007م-1428هـ)، ص268-271 .

الناس ، حيث إنه يدخل في معظم الصناعات ويستخدم كسلاح مركزي في الحـــروب ، وتكـــاد حضارة الأمم تقوم عليه .

يقول الله تعالى : { وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ } ، يقول ابن كثيــر : " أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ، ولهذا أقــام رســول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة ، توحى إليه السور المكية، وكلهــا جــدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على مــن خــالف، شرع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب بــه وعانده"[1] . وقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رســول الله صــلى الله عليه وسلم: بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحــده لا شريك لــه، وجــعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم "[2]

وقد افرد ابن رجب رسالة قيمة شرح فيها هذا الحديث أسماها " الحِكَم الجديرة بالإذاعة مــن قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة " قال في بدايتها : " إن الله بعــث محمدا داعيا إلى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة ، فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دعي بالسيف "[3] .

فآية الحديد السابقة تدل على أمرين : أولا : على تفرد الحديد من بين المعادن الأخــرى مــن حيث القوة والجودة والقيمة .

وثانيا: من خلال ما ورد في الآية { وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ } ، نجد أن الشــريعة قــد أنزلــت لمنفعة الأمة ، ومصدرا لقوتها ، وكذلك فإن معدن الحديد قد أنــزل لمنفعة الجميع ، ومــصدرا للقوة ، ولأجل رفاهية البشرية بشكل عام ، { وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ } ، ولأجل قوة الأمــة الإســلامي للدفاع عن شريعتها وحياضها ، فالسيف جاء ليحمي الكتاب ويحمي الدعوة ، ويرهب الأعــداء المتربصين من الداخل والخارج .

---

[1] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ،315/4 .

[2] - ابن حنبل : **مسند أحمد** ، حديث رقم 5667 ،50/2 ، قال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

[3] - ابن رجب الحنبلي ، أبو الفرج زين الدين عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي : **الحكم الجديرة بالإذاعة من قــول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدي الساعة** ، ص2 .

لهذا كان على أمة الإسلام أن تولي اهتماما بالغا بهذا المعدن ذي القيمة العاليـــة ، والبـــأس الشديد ، لكي ترقى في عطائها وصناعاتها ، ولكي تمتلك القوة الحديدية التي تحمي بهـــا نفســـها ومكتسباتها وتدافع عن المستضعفين في الأرض كما فعل ذو القرنين .

الفصل الخامس

آثار القوة

المبحث الأول : آثار القوة في الخير

المبحث الثاني : آثار القوة في الشر

المبحث الأول :آثار القوة في الخير

أولا : حماية الدين والأمة وإرهاب الأعداء

قال تعالى : { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }(الأنفال:60) .

تُعدّ القوة سياجا لا تستغني عنه الأمم ، وهذا ما يصدقه التاريخ الماضي والحاضر ، من هنا كان على الأمة الإسلامية كباقي الأمم ، واقتباسا من تراثها الديني ، وهدي خلفائها الراشدين ، أن تتمتع بالقوة لكي تحمي مكتسباتها وشعبها من أي سوء ومكر على الصعيدين الداخلي والخارجي، فكلما كانت الأمّة قوية وذات هيبة ، فإنها ترهب الأعداء من أن يغامروا ضدها ، وتسكت أعداءها من الداخل ممن يتآمرون ويتربصون بها الدوائر .

"فالأمة مطالبة بإعداد القوة الحربية للدفاع عن الدين وعن الوطن ، وعن كل ما يجب الدفاع عنه ، لأن أعداء الإسلام إذا ما علموا أن أتباعه أقوياء هابوهم ، وخافوا بأسهم ، ولم يجرؤوا على مهاجمتهم... فيعيش أتباع هذا الدين آمنين مطمئنين في ديارهم ، ويستطيعون أن يبلغوا رسالة الله إلى خلقه من الناس دون أن يخشوا أحداً إلا الله عز وجل "[1]

فالمسلمون إذن مكلفون أن يكونوا أقوياء ، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، لأن إظهار القوة يلقي الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض ، الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون ؛ وآخرين ممن لا يعرفونهم ، ولم يجهروا لهم بالعداوة ، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ، ولو لم تمتد بالفعل إليهم[2].

فالقصد من إعداد القوة هو إرهاب العدو ، لأن مجرد الإعداد للقوة ، هو أمر يسبب رهباً للعدو. ولهذا تقام العروض العسكرية ليرى الخصم مدى قوة الدولة . وأعداء الإسلام ليسوا هم الذين يظهرون في ميدان القتال فقط ، ولكن هناك كثيراً ممن لا يظهرون في ميدان القتال يحاربون دين الله ، ويحاربون المسلمين[3].

---

[1]- طنطاوي : **التفسير الوسيط** ، 141/6 .

[2]- انظر : قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 1544/3 .

[3]- انظر : الشعراوي : **تفسير الشعراوي**، ص(4779-4780).

وأعداء الإسلام ليسوا هم فقط الذين ظهروا أثناء الرسالة من كفار قريش واليهود والمنافقين وغيرهم ، وإنما ستظهر عداوات أخرى ، {وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} ، وهذه لفتة من الحق سبحانه وتعالى ، فقد فظهرت عداوة الفرس والروم وحربهم ضد المسلمين ، وظهرت عداوة الصليبيين وغيرهم ، ومع الزمن سوف يظهر من يعلمهم الله ولا نعلمهم نحن ، وقد جاءت أحداث الحياة لتؤكد دقة تعبير القرآن الكريم[1].

من خلال ما سبق نجد أن القوة شيء مركزي في حياة الأمم ، للآثار الايجابية التي تنصبغ بها الأمم بسبب أخذها بأسباب القوة ، وفي تاريخنا الإسلامي نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستكن مرة لحالة الضعف وقلة المساندين له حتى في بداية الدعوة الإسلامية ، بل وصفه الله تعالى هو وأصحابه فقال : {ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ }(**الفتح**:**29**) .

فالزرع يظهر في أول أمره ضعيفا متفرقا ، ثم يغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد ، وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كانوا في أول الأمر في قلة وضعف ، ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا في ذلك[2] ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ظل يطلب أسباب القوة المادية والبشرية بعد توكله على الله عز وجل ، حتى استطاع أن يتوج دعوته بإقامة الدولة وترسيخ أركانها ، مما جعله قادرا على مواجهة التحديات والانتشار بالدعوة الإسلامية خارج المدينة ، وإلجام المتربصين بالمسلمين ودينهم ووطنهم سواء كانوا أعداء من الداخل أو من الخارج ، وهذا ما يجب أن تقوم به أمتنا الإسلامية في كل عصر وحين.

ثانيا: الرحمة بالمؤمنين والغلظة على الكافرين

قال تعالى : { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ }(الفتح:29)

إن من صلب ديننا الحنيف التراحم بين المؤمنين ، والابتعاد عن الغلظة والجفاء فيما بينهم ، من هنا كان على كل مسلم قوي ، أن يكون رحيما بأخيه المسلم ، كافا يده أن تناله بسوء ، فقوته هي لحمايته ، وحماية ضعفاء المسلمين والغلظة على أعدائهم ، { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ }(التحريم:9) ، فبهذا جاء الدين ، وبهذا يأخذ المسلم أجره من الله

---

[1] - انظر : **المصدر السابق** ، نفسه . رضا ، محمد رشيد : **تفسير المنار** ، 10/55-56 .

[2]- انظر : طنطاوي : **التفسير الوسيط** ، 13/288 .

عز وجل ، فالمسلم له أعداء من الداخل والخارج يواجهونه بشتى الوسائل لفتنتـــه عـــن دينـــه ، فكانت الحاجة لأن يقف المسلم القوي سواء كان حاكما أو محكوما إلى جانب أخيـــه الضـــعيف ، ليظل مرحوما برحمة القوي ومتنعما بنعمة التمسك بالدين .

قال الألوسي : " إن المؤمنين فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين ، ورحمة ورقة على إخوانهم المؤمنين ، وفي وصفهم بالرحمة بعد وصفهم بالشدة ، تكميل واحتراس ، فمع كونهم أشداء على الأعداء ، فهم رحماء على الإخـــوان ، ونحـــوه قولـــه تعـــالى:{ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ }(المائدة:54)"[1] ، " ومعنى كونهم أعزة على الكافرين ، أنهم أشداء متغلبون عليهم "[2]. " فالمؤمنون يُظهرونَ لمن خالفَ دينَهُم الشدةَ والصَّلابةَ ، ولمن وافقَهُـم فـــي الـــدِّينِ الرحمـــةَ والرأفةَ"[3].

إن إقامة الدين تحتاج إلى القوة لحمايته ، حتى يظل مطبقا في حياة الأمة ، ومن آثار إقامـــة الدين على القوة الراشدة ، أن ينعم أهل الإسلام برحمة الحكام ، وقوانينهم واجتهاداتهم ، وهـــذه الرحمة تنعكس على جميع القوى المادية والبشرية المسخرة في داخل الدولـــة لخدمـــة الجبهـــة الداخلية ونهضتها ورفاهيتها ، فإذا كان الحكام على درجة كبيرة من المسؤولية بحق شـــعوبهم ، وإذا كانوا رحماء بهم وغليظين بأعدائهم ، فلا شك أن هذه الرحمة من الحكام ســـوف تـــنعكس ايجابيا على العلاقات بين المواطنين في داخل الدولة الإسلامية ، مما يقوي صفة الرحمـــة فـــي المعاملات فيما بينهم ، فالتعاون بين القائد والمواطنين ، أمر مهم لتحقيق الأهداف، ودفع الظلـــم عن العباد . والقائد مهما كان قويا بجيشه فهو بحاجة إلى سند ودعم من غيره ، قال تعالى حكاية عـــن ذي القـــرنين : { قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا }(الكهف:95) .

وقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، بالتواضع وخفض الجناح لمن آمن به ؛ فقال عـــز وجل : { وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ }(الشعراء:215) . قال القرطبـــي: "

---

[1] - الألوسي : **روح المعاني** ، 123/26 .

[2] - **المصدر السابق** ، 164/6 .

[3] - أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** ، 114/8 .

أي ألن جانبك لمن آمن بك ، وتواضع لهم "[1] . فكان صلى الله عليه وسلم " طلق الوجه بساما ، متواضعا من غير ذلة ... رقيق القلب ، رحيما بكل مسلم "[2] .

ما أحوجنا في هذا الزمان إلى التخلق بمبادئ الإسلام ، وبث روح الوحدة والتعاون بين أهله ، وجعل خلق الرحمة هو المهيمن بين صفوف أتباعه . وخلق الرحمة أصبح من الأخلاق الضرورية التي ينبغي لأهل الإسلام أن يتخلقوا به في زمان طغت فيه الأنانية وحب الذات ، وانقلبت فيه الموازين وهجر الناس تطبيق الكثير من الأخلاق الإسلامية ، فأصبحت لغة التخاطب والتعامل تتصف بالشدة والغلظة للأسف فيما بيننا ، والذلة والرحمة في التعامل مع أعدائنا .

وهذا واقع مرير نراه ونلمسه ونحياه ، ولا بد من تغييره ، امتثالا لأمر الله الذي وصف الفئة التي يحبها ، بأنها ذليلة على المؤمنين ، عزيزة على الكافرين ، حيث قال : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ... }(المائدة:54) . قال ابن كثير : " هذه صفات المؤمنين الكمَّل ؛ أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه ، متعززا على خصمه وعدوه "[3] . قال عطاء رضي الله عنه " للمؤمنين كالوالد لولده ، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته "[4].

فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى هذه الرحمة التي تعيد إلينا وحدتنا وتآلفنا ، لنقف أقوياء أشداء في وجه أعدائنا . ويكون شعارنا وديدننا ، { أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ } .

ثالثا: التضحية في سبيل قوة ونشر هذا الدين

قال تعالى : { إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ }(التوبة:111) .

---

[1] - القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، 57/10 .

[2] - ابن القيم : **مدارج السالكين** ، 371/2 .

[3]- ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 71/2 .

[4]- ابن القيم : **مدارج السالكين** ، 370/2 .

إن من خصائص هذا الدين الرباني أنه إنساني أنزل على الناس ليعملوا به في حياتهم ، وليكون نافعا لهم ، لذلك فإن الدين بحاجة إلى جهد بشري متواصل ، ليسري في روح وحياة المؤمنين به ، فهم يكسبون منه ومن انتشاره الهدى والرشاد والقوة . إذن الحاجة ملحة للتضحية بالمال والنفس في سبيل قوة ونشر هذا الدين ، لتكون ثمار هذه التضحية مردها إلى المضحين في سبيله ، فيكونون أقوياء وأعزاء وينالون خيري الدنيا والآخرة .

وفي الآية الكريمة السابقة " يخبر الله تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم - إذا بذلوها في سبيله بالجنة - وهذا من فضله وكرمه وإحسانه ، فإنه قَبِلَ العِوَض عما يملكه ، بما تفضل به على عبيده المطيعين له"[1]. فما أعظمها من صفقة ، وهي أن تتاجر مع الله ، فتبيع نفسك ومالك لله ، ويكون الجزاء الجنة ، قال تعالى : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }(الصف:10-11) . يقول السعدي : " هذه وصية

ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين ، لعباده المؤمنين ، لأعظم تجارة ، وأجل مطلوب ، وأعلى مرغوب يحصل بها النجاة من العذاب الأليم ، والفوز بالنعيم المقيم ... بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم لمصادمة أعداء الإسلام ، وتنفقوا ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب ، فإن ذلك وإن كان كريها للنفوس شاقا ، فإنه {خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } "[2] .

" فمن آمن وجاهد بماله ونفسه ، فقد بذل ما عنده وما في وسعه ، لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه ، والنجاة من أليم عقابه"[3] .

مما سبق ندرك ، أن الدين شيء فطري في الإنسان ، بمعنى أنه جزء لا يتجزأ من شخصيته ، فكما أنه يضحي بقوته للحفاظ على أعضائه الجسدية ، كذلك فطرة الدين المجبولة بروح وحياة الإنسان ، بحاجة للتضحية والفداء ، لأن في فقدها أو تراجعها تراجع لكمال الشخصية وتمام الأخلاق ، فلا عجب إذن أن نجد الأمة الإسلامية من خير الأمم ، ليس بسبب جنسها أو موطنها أو عددها ، إنما بسبب حملها لأمانة الدين ، فهي الأمة المكلفة من قبل الله

---

[1]- ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 392/2 .

[2] - السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** ، 860/1 .

[3]- الصابوني ، محمد علي : **صفوة التفاسير** ، (القاهرة : دار الصابوني ، ط9) ، 374/3 .

تعالى لإعلاء دينه ، وتبليغ وحيه ، حتى تتحرر الأمم والشعوب ، وينضووا تحت راية الإيمان ، والله تعالى وعد بإظهار هذا الدين على جميع الأديان ، قال تعـــالى: { هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ }(الصف:9) .

وهذا الدين منصور من قبل الله ، وإذا تخلى أهله عنه استبدلهم الله تعالى بغيرهم ، مصـــداقا لقوله : { إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ }(التوبة:39) ، وقد علمنا من خلال تاريخنا المشرف ، كيـــف أن أمـــة التتار رغم عدتها وأعدادها وبطشها ، فقد خضعت واستسلمت أمام ضـــربات المضـــحين مـــن المسلمين بأنفسهم وأموالهم ، ثم أمام إيمان وتحلي المسلمين العميق بالأخلاق الإسلامية العاليـــة ، والجرأة في نشر الدين وتعاليمه . وعلى الأمة الإسلامية اليوم أن تنهل مـــن المنهـــل العـــذب ، وتحذو حذو

أجدادنا الصحابة ، الذين تركوا بلاد الحجاز وخرجوا في سبيل الله لنشر هـــذا الـــدين وإعـــلاء كلمته، فالأمة الإسلامية اليوم في ذيل القافلة ، ليس لها قيمة ، لأنها قصرت فـــي إعـــلاء كلمـــة الله، فركنت إلى الدنيا وزخارفها ، وتنافست عليها ، ولن تعود لها عزتها وريادتها ، حتى تعـــود إلى سابق عهدها في نشر الدين وتبليغه في مشارق الأرض ومغاربها .

يقول تعالى :

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأَخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِى ٱلۡأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}(التوبة:38).

رابعا : العزم وعدم التردد

إن ظروف الحياة تقتضي من الإنسان أن يكون ذا عزيمة وقرار ، حتى لا يبقى أمره طائشـــا في مهب الريح ، من هنا جاء الإرشاد للمسلم أن يعزم أمره بعد توكله علـــى الله ، { فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ}(آل عمران:159) ، فإذا أخذ المسلم بهذه التعـــاليم الربانية ، فلا شك أن أمره سيكون أفضل حالا وأقوى أثرا ، لأن التردد والحيرة مرض لا دواء له إلا العزم ، والتردد مفتاح لوسوسة الشيطان وللفشل في الحياة .

وإن النفس المؤمنة لتصطدم في الحياة بشدائد تزلزل ، ونوازل تزعزع ، فالحياة ابتلاء وامتحان ، وتجارب قاسية تجعل النفس تضطرب وتتردد وتتأرجح ، وهذا ينبه القلوب المؤمنة إلى مزالق الطريق ، وأخطار الرحلة ، لتعزم أمرها ، وتحتسب ، وتستقيم ، ولا ترتاب عندما يدلهم الأفق ، ويظلم الجو ، وتتناوحها العواصف والرياح [1] .

في الآية الكريمة السابقة أمر الله تعالى نبيه عليه السلام ، إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل على الله ، والعزم هو الأمر المُرَوَّى المنقح ، وليس ركوب الرأي دون روية ، فليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف ؛ لأنه نقضٌ للتوكُّل الذي شرطه الله عز وجل مع العزيمة[2].

فمن استقر رأيه على فكرة معينة بعد دراسة فاحصة ، واستشار العقلاء الأمناء فيها ، فعليه أن يبادر إلى تنفيذها بدون تردد ، فإن التردد يضيع الوقت ، ويحول الحسنات إلى سيئات ، وعليه مع حسن الاستعداد والتصميم والعزم والجزم ، أن يكون معتمدا على الله ، مظهرا العجز أمام قدرته – سبحانه – لأنه هو الخالق للأسباب والمسببات ، وهو القادر على تغييرها[3] .

مما سبق يظهر لنا جليا أن قوة العزيمة في الإرادة البشرية هي أصل للاستقرار ، ولقطع دابر الفوضى ، فالإيمان لا يقر ولا يستقر إلا بالعزيمة القوية التي تتقي قلب المؤمن من آفات الشكوك والشهوات . وأخذ القرار الحازم وعدم التردد ، يدخلان الراحة إلى النفس ويمنعان الضعف الإنساني من أن يسيطر على مجمل حياة الإنسان ، وكثيراً ما نشاهد اليوم من إخفاقات وقلق شديد ، ومشاكل معقدة عند الكثير من الناس ، ممن لا يملكون العزيمة في اتخاذ القرار في الكثير من شؤون حياتهم، وأعرف أناسا ممن يشار إليهم بالبنان يُقْدِم الواحد منهم ويُحْجِم في أتفه الأمور، وسمح للإخفاق أن يصل إلى روحه ، وهذا مرجعه إلى الإعراض عن ذكر الله ، وإلى ضعف الشخصية الإسلامية ، وتلاشي الكثير من الروابط الاجتماعية ، فكانت العزيمة القوية في الإيمان ، مفتاحا لاكتساب العزيمة القوية والراشدة في سائر شؤون الحياة .

---

[1]- انظر : قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ،3350/6 .

[2] - انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، 252/4 .

[3] - انظر : طنطاوي ، محمد سيد : **التفسير الوسيط** ، 319/2 .

المبحث الثاني :آثارالقوة في الشر

أولا : الاغترار بقوة الجاه والسلطان ، وسوء العاقبة .

قـــال تعـــالى : { وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }(الزخرف:51) .

إن حب الجاه والسلطان ، أمر محبوب جداً إلى النفس البشرية ، بل إن بعض الناس مجبول على حب التسلط والسيطرة ، فكم من دماء سفكت ، وأعراض انتهكت على مدار التاريخ ، مـــن أجل الجاه والمنصب ، أو المال ، والقرآن الكريم يحدثنا عن أقوام وطغاة سادوا ، واغتروا بقوة سلطانهم وجاههم فأهلكهم الله ، وأصبحوا أثرا بعد عين ، وعلى رأس هؤلاء الطغـــاة ـــ الـــذين استخفوا أقوامهم واستبدوا بآرائهم ، واغتروا بسلطانهم ـــ فرعون الذي ذمه الله في أكثـــر مـــن سبعين موضعا في القرآن الكريم ، وضربه مثلا لكل المغترين ، عبر جميـــع الأزمنـــة ، قـــال تعالى: { فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ }(الأنفال:52) . قال ابن عاشور : " أي جعلناهم عبرة للآخرين ، يعلمون أنهم إن عملوا مثل عملهم أصابهم مثلُ ما أصابهم . ويجوز أن يكـــون المثل هنا بمعنى الحديث العجيب الشأن الذي يسير بين النّاس مسيرَ الأمثال "[1] .

وهو الذي وصل به الغرور أن يـــدعي الإلوهيـــة ، { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى }(القصص:38) . قال السعدي : " فانظر هذه الجراءة العظيمة علـــى الله التي ما بلغها آدمي ، كذَّب موسى ، وادعى أنه إله ، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق ، وفعل الأسباب ليتوصل إلى إله موسى "[2] . ووصل به الغرور ، إلى التفاخر بنعم الله على أنهـــا مـــن صنعه ، فنادى في قومه متغطرسا متبجحا ، وقال لهـــم :{ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ } . وهذا يظهر مدى تمرده وعتوه وكفره وعناده ، أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بما هو فيه من العظمة والملك ، مستخفا بموسى ومن معه علـــى أنهـــم فقـــراء ضعفاء[3].

---

[1] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 235/25 .

[2]- السعدي : **تيسير الكريم الرحمن** ، 616/1 .

[3] - انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 130/4 .

قال الزمخشري : " وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظَّم بملك مصر، وعجب الناس من مدى عظمته ، وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها؛ لـئلا تخفـى تلـك الأُبَّهَة والجلالة على صغير ولا كبير ، وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته"[1].

إن المُلْك إذا لم يتوج بتاج المعرفة والخشية من الله ، فإنه يُطغي ، قـال تعـالى لموسـى : { ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ }(النازعات:17-19) ، قال الرازي: " الخشية ملاك الخيرات ، لأن من خشي الله ، أتى منه كل خير ، ومن أمِن ، اجترأ على كل شر "[2] ، فالطغيان والاغترار ، يجلبان غضب الجبـار الشديد ، فيكون الدمار والبوار على أصحابه ، قال تعالى عن فرعون وقومه : { فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ }(الزخرف:55) .

مما سبق ندرك أن على الأمم ألا تغتر بقوتها وسلطانها وألا تتفرعن ، فهذا فرعـون الـذي وصل به الطغيان إلى حد كبير لم يصل إليه أحد ، جعله الله عبرة ومثلا للجميع ، والآيات التـي تتحدث عن إهلاك فرعون وأتباعه ، تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وللمـؤمنين فـي كـل زمان، وهي أيضا تخاطب وتحذر كفار مكة ، وكل من يحذو حذوهم عبر الزمـان مـن سـوء العاقبة ، فلا أحد يصل إلى ما وصل إليه فرعون وأتباعـه . فمـاذا كانـت النتيجـة ؟ الفشـل والخذلان ، فأهل الباطل مهما علوا وانتفشوا سيصـيبهم الـذل والصـغار ، بسـبب غـرورهم وفجورهم ، وهم إلى زوال ، قال تعالى :{ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ }(آل عمران:196) ، فالغلبة والنصـر فـي النهايـة للمؤمنين الصادقين ، وعلى جميع الفراعنة في هذا الزمان ، وفي كل زمان ، أن يأخذوا العبـرة والعظة مما حدث لفرعونهم الأكبر ، الذي حاول أن يحارب الله فأخذه الله ، وانـتقم منـه شـر انتقام ، وأبقى جثته شاهدة عليه عبر الزمان ، وها نحن نرى بداية سقوط الأمم الحالية المعاديـة للإسلام، لعدم أخذها العبرة مما مضى ، فبالأمس القريب ، سقط المعسكر الشـرقي ، وسـيأتي الدور على المعسكر الغربي ، الذي تطاول وانبهر واغتر بقوته وماله ، واعتمد علـى مباشـرة الأسباب وحدها ، دون الاعتماد على الله ، فهم يسبحون في الخيال والأوهام ، ويسـيرون وراء

---

[1] - الزمخشري : **الكشاف** ، 260/4 .

[2] - الرازي : **مفاتيح الغيب** ، 31/ 38 .

السـراب ، قـال تعـالى : { مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}(العنكبوت:41)

فالآية الكريمة تبين ، أنهم اتخذوا ما يحسبونه دافعا عنهم ، فإذا هو أضعف من أن يدافع عن نفسه ، كحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتا تحسب أنها تعتصم به ، فإذا هو لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك ، فيسقط ويتمزق ، وهكذا المشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه[1].

فمهما أوتي الكفار من أسباب الدنيا ومتاعها ، لا سيما في وقتنا الحاضر ، حيث توصل العقل البشري إلى اختراعات عجيبة ، وأسلحة فتاكة لا تدع مجالا للشك ، بأنهم ملكوا في الظاهر القوة التي لا تقهر، وأن زمام الأمور في أيديهم ، ولكن الحقيقة التي ستفاجئهم ، أنهم ما كانوا إلا في غرور ، وهذه القوى لا تغني عنهم من الله شيئا .

قال تعالى : { وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ }(الأحقاف:26) .

ثانيا : الاغترار بقوة المال وسوء العاقبة

إن فتنة المال ، فتنة شديدة ، لما للمال من سيطرة على النفوس ، لأنها مجبولة بطبيعتها على حبه وعشقه ، وهو الوسيلة إلى تحقيق اللذات والشهوات ، قال تعالى : { وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا }(الفجر:20) ، وقال تعالى : { وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}(العاديات:8)

والخير هو المال الكثير ، وحب الإنسان له شديد[2] ، وهذا الحب كثيرا ما يؤدي إلى الاغترار والطغيان ، قال تعالى: { كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ }(العلق:6-7) .

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان ، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله"[3] ، " والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور ، فإن

---

[1] - انظر : ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 252/8 .

[2]- الطبري : **جامع البيان** ، 279/30 .

[3] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ،529/4 .

اقتحم ما اشتهاه هلك "[1]، ومن الأمثلة التي عني القرآن بذكرها قصة قارون ، الذي ضرب الله به المثل في الغنى ، فغره ماله وأطغاه وبغى على قومه ونسي فضل ربه : { إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ وَٱبۡتَغِ۝ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ }(القصص:76-77) .

والحق - تبارك وتعالى - يجعل من قارون عبرةً لكل مَنْ لا يؤمن بالآخرة ليخاف من عذاب الله ، ويحذر عقابه ، وقارون رأس من رؤوس القوم ، وأغنى أغنيائهم ، وهو رمز الغنى والجاه، فحين يأخذه الله يكون في أَخْذه عبرة لمن دونه[2].

ولقد نصحه قومه بنصائح مهمة جداً ، تجمع له خيري الدنيا والآخرة ، ولكن حبه للمال أعماه وأصمه عن رؤية الحقيقة ، وسماع النصيحة ، وأخذه العجب بنفسه والغرور كل مأخذ ، قال تعالى حكاية عن قارون : { قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ }(القصص:78) ، قال البغوي : " على فضل وخير عَلِمَه الله عندي فرآني أهلاً لذلك، ففضَّلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره "[3] ، وبعد هذا الغرور والإعراض وعدم المبالاة ، جاءه العذاب الأليم من الله ،{ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ }(القصص:81) .

مما سبق ندرك أن كثرة المال وقوة الأنصار من غير إيمان ، تدفع بالإنسان إلى الشعور بالبطر والفخر على غيره ، وهذا تصرف خاطئ ، لأن الله لا يحب المتعالين على غيرهم بسبب

---

[1] - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، ت 505هـ : **إحياء علوم الدين** ، بذيله كتاب المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لزين الدين العراقي ، (الدار البيضاء) ، 222/3

[2] - انظر : الشعراوي : **تفسير الشعراوي** ، 1009/18 .

[3] - البغوي: **معالم التنزيل** ، 455/3 .

أمـــوالهم وقـــوتهم ،{ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ }(القصص:83) ، وإننا نشاهد اليوم طغيان المال الذي تربع على عرش القلوب وسيطر على الأسواق العالمية ، وهذا ما نشاهده من كثرة البنوك والشـركات الربويـة ، وفشـو التجارة ، وسهولة المعاملات التي وفرها العقل البشري ، الذي جعل من العالم قرية صغيرة .

وهناك دول تحصنت بقوتها واقتصادها ، واغترت بما عندها فآل أمرها إلى البوار والهـلاك ، وهناك دول ما زالت تسيطر على خيرات الشعوب -مثل أميركا- وتهيمن على باقي دول العـالم ، وتتحكم بدولارها في باقي العملات ، مما يجعل كل خسارة في الولايات المتحدة لها تداعياتها على باقي دول العالم - وهذا ما حدث مؤخرا ، حيث انهار الاقتصاد الأميركي فجـأة ، مخلفـا أزمـة اقتصادية عالمية شديدة ، ما زالت تلقي بظلالها على باقي دول العالم حتى الآن- وما نراه اليـوم من بوادر سقوط النظام الرأسمالي ، ما هو إلا مقدمة لهلاك تلك الدولة وغيرها من الدول ، ومـا حدث مع قارون وفرعون في الماضي ، سيحدث معها ومع غيرها في المستقبل ، لأنهـم سـاروا على نهجهم ، ولم يأخذوا العبرة مما حل مع أسلافهم .

ثالثا : الاغترار بالعدد والعدة

قال تعالى : { فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ }(البقرة:249)، وقال: { وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ } (الأنعـام:116) ، وقـال :{كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا }(التوبـة:69)، وقـال : { أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ }(غافر:82) .

إن الاغترار والعُجب بالعدد والعدة ، من الفتن التي تصيب الأفراد والمجتمعات ، فالتفـاخر بالعدد والعدة مذموم شرعا ، وقد جاءت عشرات الآيات القرآنية تذم العجـب بـالكثرة وتحـذر منها ، والآيات المذكورة آنفا مثال واضح لباقي الآيات التي تحذر من الاغتـرار بالعدديـة فـي

جميع أشكالها وصورها ، وتبين أن مآلها إلى الانهزام والخسارة ، " فليست العبرة بكثرة أنصار الباطل ، بل بصمود أهل الحق والتزامهم له وجهادهم في سبيله"[1] .

قال تعالى : { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً } ، فهذه الفئة الأخرى ، غير المؤمنة مع كثرتها لا قيمة لها ولا وزن أمام الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله ، فهم الفئة الغالبة المتصلة بمصدر القوى ، وهي التي تمثل القوة الغالبة ؛ قوة الله الغالب على أمره ، محطم الجبارين ، ومخزي الظالمين ، وقاهر المتكبرين [2] .

ووعْدُ الله بنصر الفئة المؤمنة - ولو قل عددها - سنة ماضية لم ولن تتوقف ، وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة ؛ وتثق في ذلك الوعد ؛ وتعد للأمر عدته التي في وسعها ، وتصبر حتى يأذن الله ، ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليها الأمد المغيب في علم الله[3] . "فلا عبرة إذن بكثرة العدد إنما العبرة بالتأييد الإلهي، والنصر السماوي، فإذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة والذلة ، وإذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة "[4] .

فالعجب بالكثرة يؤدي إلى المهالك حتى مع الفئة المؤمنة ، وما حدث في بداية غزوة حنين تحذير للأمة في كل زمان ، ألا يغتروا بالكثرة ، فإنها سبب الهزيمة ،{ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا }(التوبة:25) ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نبيا من الأنبياء أعجبته كثرة جنده ، فأهلك الله منهم سبعين ألفا . فعن صهيب رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى همس شيئا لا أفهمه ، ولا يخبرنا به ، قال : أفطنتم لي ؟ قلنا : نعم ، قال : إني ذكرت نبيا من الأنبياء أعطى جنودا من قومه ، فقال : من يكافئ هؤلاء ؟ أو من يقوم لهؤلاء ؟ أو غيرها من الكلام ، فَأُوحي إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث : إما أن نسلط عليهم عدوا من غيرهم ، أو الجوع ، أو الموت ، فاستشار قومه في ذلك ، فقالوا : أنت نبي الله ، فكل ذلك إليك ، خِرْ لنا ، فقام إلى الصلاة ، وكانوا

---

[1] - الصابوني : **صفوة التفاسير** ، 155/1 .

[2] - انظر : قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 269/1 .

[3] - انظر : **المصدر السابق** ، 372/1 .

[4] - الرازي : **مفاتيح الغيب** ، 157/6 .

إذا فزعوا ، فزعوا إلى الصلاة ، فصلى ما شاء الله . قال : ثم قال : أي رب ، أما عـدو مـن غيرهم فلا ، أو الجوع ، فلا ، ولكن الموت ، فسلط عليهم الموت ، فمات منهم سـبعون ألفـا ، فهمسي الذي ترون أنِّي أقول : اللهم بك أقاتل ، وبك أصاول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله "[1] .

" إن عاقبة إعجاب ذلك النبي بقومه مخيفة ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسـلم يخـاف على أصحابه مثل تلك العاقبة ، فكان عقب الصلاة يقول همسا : (اللهـم بـك أحـول ، وبـك أصول، وبك أقاتل) وهو في ذلك يستحضر قصة ذلك النبي ، فيدعو بهذا الدعاء الذي يتوجه به إلى الله متبرئا من حوله وقوته "[2] .

مما سبق يظهر لنا جليا عاقبة الاغترار بالعدد والعدة ، وإنها من الأمور المهلكة حتـى مـع الفئة المؤمنة ، فكيف مع الفئة الأخرى-الكافرة- ، فعلى المسلمين اليوم - وخصوصا المفتـونين بزمجرة الباطل وكثرة أهله وقوتهم- ألا ينبهروا أو ينخدعوا من انتفاش الباطل ، فهـو زاهـق بإذن الله وإلى زوال ، وأما الحق وأهله المخلصون ، فهـم المنصـورون بـإذن الله ، وإن قـل عددهم، وقلت عدتهم ، لأن الحق معهم أينما داروا ، فهم الموصولون بالله القوي .

---

[1]- أحمد بن حنبل : **المسند** ، حديث رقم 23972 ،16/6. وانظر : ابن حبان : أبو حاتم محمـد بـن أحمـد البسـتي، ت354هـ : **صحيح ابن حبان** ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1414هـ) ، حـديث رقم 1975 ، 374/5 . قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

[2]- الأشقر ، د.عمر سليمان : **صحيح القصص النبوي** ، (عمان : دار النفائس ، ط2 ، 1418هـ - 1997م) ، ص 172-173 .

الفصل السادس

نماذج قرآنية للقوة

المبحث الأول : نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الخير

المبحث الثاني : نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الشر.

تمهيد

إن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ أن أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، والقرآن الكريم مليء بالأمثال والقصص التي تجسد هذا الصراع ، وأكثر القصص التي تصور هذا الصراع ، هي قصص الأنبياء والمرسلين ، كما قال تعالى :{ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}(هود:120).

فالأنبياء يمثلون جانب الحق والخير ، ومن عاداهم يمثل جانب الشر والباطل ، والحق ظاهر أبلج ، منصور في النهاية ، مهما علا الباطل وانتفخ وانتفش ، { وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا }(الإسراء:81) . فمن طبيعة الأشياء أنَّ الحق كلما جاء وقويَ وجوده تلاشى وتراجع الباطل وزهقته الأحياء ، لأنَّ الحقّ الذي يتمتع بالقوةِ الراشدة تألفُه الخلائق ويترسخ في حياتها ، حتى ولو كان ذلك ببطئ ، بينما نجد الباطل الذي يتمتع بالقوة العبثية تنفرُ منه الخلائق وتنتظر زواله في كلِّ لحظة . والقصص القرآنية التي بين أيدينا تمثل نماذج من أهل الحق الذين أنعم الله عليهم بالقوة ، ونماذج من أهل الباطل الذين أنعم الله عليهم بالقوة . فأما أهل الحق كنبي الله موسى عليه السلام وذي القرنين ، فقد وظفوا قوتهم لخير الأمم وهدايتهم ، وقمع الباطل وأهله ممن يتربصون بالإيمان وأهله الدوائر ، فانتصر الحقُ وأهله وعوملوا بالإنصاف الذي يستحقونه، وأصبحت كلمة الله هي العليا . أما أهل الباطل من الأمم الضالة والتي تمسكت بضلالها وانحرافها ، فقد أصابها الهلاك والعذاب جزاء ما فعلوه من سيئات واعتداءات على الحق وأهله ، ونماذج الأقوياء من أهل الباطل تدلنا على أنّ هؤلاء قد استثمروا قوتهم في الباطل فأهلكوا الحرث والنسل ، وعبثوا بمقدراتهم ومقدرات أهل الحقِّ والإيمان ، فأضاعوا الكثير من الطاقات والفرص ، وجلبوا الويلات عليهم وعلى أقوامهم ، وهكذا تخلفوا عن أهداف وجودهم ، وعن المعاني السامية التي تكمن في القوة الكافية الممنوحة لهم من الله تعالى .

المبحث الأول : نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الخير .

وسأكتفي هنا بالحديث عن نموذجين . الأول : موسى عليه السلام ، والثاني : ذو القرنين .

أولا : القوة في شخصية موسى عليه السلام

قال تعالى: { وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا }(مريم:51)
.

وقال تعالى : { قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ } (القصص:26) .

قصة موسى عليه السلام ، من أكثر القصص ذكرا في القرآن ، فقد وردت في عشرات المواضع ، لما فيها من العبر والعظات والفوائد ، وجاءت مطولة في مواضع ومختصرة في مواضع أخرى . فقد ذكر القرآن ميلاده ورضاعته ونشأته وبعثته ومواجهته لفرعون الطاغية، وقيادته لبني إسرائيل .

وذِكرُ قصته في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، يُظْهِرُ لنا عظمة وقوة هذا النبي ، وصبره على مواجهة ما لاقاه من أحداث وفتن ، كما قال تعالى : {وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ }(طه:40) . أي : ابتليناك بأنواع كثيرة من البلاء[1] .

فميلاد موسى عليه السلام ، ليس كميلاد غيره من الأنبياء أو البشر ، وإنما كان في ميلاده التحدي من قبل الحق سبحانه ، فقد ولد موسى عليه السلام في ظروف صعبة جدا ، ولد والسكين مشرعة على رقبته ، والموت يتهدده ، والضعف والإذلال في قومه ، ففرعون الطاغية يذبح الأولاد الذكور من بني إسرائيل ، ويستبقي النساء ، { يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ }(القصص:4) ، حذرا من أن يأتي موسى عليه السلام ، قال تعالى : { وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ}(القصص:6) ، فرغم شدة حذر فرعون ، وحرصه على عدم مجيء هذا المولود ، إلا أن قدرة الله نافذة ، فقد ولد موسى عليه السلام ، وتربى وترعرع في قصر فرعون ، وأنفق على تربيته ورضاعته من ماله ، وسيكون هلاكه في الدنيا والآخرة على يديه .

---

[1] - انظر : البيضاوي : **أنوار التنزيل** ، 51/4 .

وكأن القدر يقول لهذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده واتساع سلطانه ، قد حكم العظيم الذي لا يغالب ، ولا يخالف أقداره ، أن هذا المولود الذي تحترز منه ، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى ، لا يتربى إلا في دارك ، وعلى فراشك ، ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك ، وأنت الذي تتبناه وتربيه ، ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه لمخالفتك ما جاء به الوحي ، لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السماوات والأرض هو الفعال لما يريد ، وهو صاحب الحول والقوة والمشيئة التي لا مرد لها[1].

قال تعالى : { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ}(القصص:14) .

في الآية الكريمة يتحدث القرآن الكريم ، ويسلط الضوء على مرحلة الفتوة وقوة الشباب عند هذا النبي الكريم ، الذي أعطاه الله الحكمة والعلم . قال صاحب الظلال : " وبلوغ الأشد في قوله تعالى :{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ } ، هو اكتمال القوى الجسمية ، والاستواء : اكتمال النضوج العضوي

والعقلي ، ويكون عادة حوالي سن الثلاثين "[2]. ويقول سيد طنطاوي : هو " منتهى شدته وقوته واكتمال عقله "[3] .

وحين بلغ موسى عليه السلام منتهى شدته وقوته ، واكتمال عقله ، آتاه الله{ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ } ، أي : آتاه " الفقه ، والعقل ، والعلم ، والدين ، فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا "[4]، والقرآن الكريم يقص علينا الكثير من القصص التي تُظْهِرُ بوضوح قوة هذا النبي الكريم وغيرته ومروءته ، يقول الله تعالى : { وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى

---

[1] - ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت774هـ : **البداية والنهاية** ، (بيروت : دار المعرفة ،ط7 ، 1422هـ-2002م) ، 265/1 .

[2] - قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 2681/5 .

[3] - طنطاوي ، سيد : **التفسير الوسيط** ، 156/8 .

[4] - البغوي : **معالم التنزيل** ، 438/3 .

ٱلَّذِى مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ } (القصص: 15) .

في الآية الكريمة ، يبين الله تعالى مدى حرص هذا النبي الكريم على محاربة الأشرار الذين يضطهدون الناس ويذلونهم ، حيث استجاب لنداء أحد المستضعفين الإسرائيليين الذي وقع عليه الاعتداء من أحد الفراعنة الظلمة ، { فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ } . يقول الألوسي : " أي ضرب القبطي بجمع كفه ، أي بكفه المضمومة أصابعها "[1] ، وهذا هو " المفهوم من التعبير أنها وكزة واحدة ، كان فيها حتف القبطي. مما يشيد بقوة موسى وفتوته، ويصور كذلك انفعاله وغضبه "[2].

ويفهم من سياق قصة موسى عليه السلام مع القبطي ، أن موسى له شخصية انفعالية ، حارة الوجدان ، قوية الاندفاع ، وهذه سمة بارزة فيه ، إذ أنه لم يكن يقصد قتل القبطي ، ولم يعمد إلى القضاء عليه ، فما كاد يراه جثة هامدة بين يديه حتى استرجع وندم على فعلته ، وعزاها إلى الشيطان ، لأن الغضب من الشيطان ، { قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ} ، ثم اعترف بظلمه لنفسه ، وحمَّلها هذا الوزر طالبا من الله العفو والمغفرة ، { فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ }(القصص:16) ، وبعد هذا الدعاء أحس بأن الله قد غفر له ، فإذا هو يقطع على نفسه عهدا ، ألا يقف في صف المجرمين ظهيرا ومعينا ، وهو براء من الجريمة وأهلها في كل صورة من صورها[3].

وقال تعالى : { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ }(القصص:22-24) .

في هذه الآيات الكريمة ، يبين الحق سبحانه وتعالى أحداث المرحلة الثانية من حياة هذا النبي الكريم ، الذي انتقل من حياة النعيم والرفاهية إلى حياة الجد والتعب والكد ، فقد خرج من

---

[1] - الألوسي : **روح المعاني** ، 54/20 .

[2] - قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 2682/5 .

[3] - انظر : **المصدر السابق** ، نفسه .

مصر بلا زاد ولا شراب ، وحيدا فريدا خائفا ،{ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ }(القصص:21) ، ليس معه أحد إلا الله ، ويقطع المسافات البعيدة ، وهو يسير في صحراء مظلمة باردة قاحلة ، يقول ابن عاشور: "

وتلك المسافة تستدعي من المدة نحواً من خمسة وأربعين يوماً. وكان يبيت في البرية لا محالة. وكان رجلاً جلداً ، وقد ألهمه الله سواء السبيل ، فلم يضل في سيره "[1] ، ووصل بعد رحلة شاقة مضنية إلى أرض مدين ، بعيدا عن سلطة فرعون وقومه ، ويقص علينا القرآن ما حدث له بعد وصوله إليها ، فيقول : { وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ } .

تبين الآية الكريمة ، أنه لما وصل مدين بلدة شعيب ، وجد جمعا كبيرا من الناس مجتمعين على بئر لسقي مواشيهم ، ووجد سوى الناس امرأتين تبعدان غنمهما عن البئر ، فكلما اقتربت واحدة من الأغنام ، كانتا تبعدانها عنه ، ولا أحد من هذا الجمع يكترث أو يهتم بهن ، فلم يطق موسى عليه السلام ، أن يرى تلك المرأتين وهما على هذه الحالة من الضعف ، حتى تحركت عنده النخوة والغيرة وحب نصرة الضعيف . يقول سيد طنطاوي :" يا له من صاحب همة عالية ، ومروءة سامية، ونفس وثابتة نحو نصرة المحتاج "[2].

وقال تعالى :{فَسَقَىٰ لَهُمَا } ، أي: فسقى غنمهما لأجلهما. والرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقِلُّه إلا سبعة رجال ، وقيل عشرة أو أكثر ، فأقلَّهُ وحده ، وإنما فعل هذا رغبة في المعروف ، وإغاثة للملهوف[3].

ولما وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحم عليه الناس ، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنمهما مترقبتين لفراغهم ، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة ، مع ما كان به من النَصَب وسقوط خف القدم والجوع ، ولكنه رحمهما فأغاثهما ، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة، بقوّة قلبه وقوّة ساعده[4] .

---

[1] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 140/18 .

[2] - طنطاوي : **التفسير الوسيط** ، 161/8 .

[3] - انظر : الزمخشري : **الكشاف**، 405/3 .

[4] - انظر : المصدر السابق ، نفسه .

وقد سطر القرآن الكريم قول ابنة شعيب التي تفرست بموسى عليه السلام[1]، ووصفته بخصلتين من أعظم الخصال ، (القوة والأمانة) فقال تعالى حكاية عنها : { قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ } (القصص:26) .

" قال لها أبوها ما رأيت من قوته وأمانته ، فأخبرته بالأمر الذي كان ، قالت : أما قوته فإنه قلب الحجر وحده وكان لا يقلبه إلا النفر ، وأما أمانته فإنه قال امشي خلفي وأرشديني الطريق لأني امرؤ من عنصر إبراهيم عليه السلام ، لا يحل لي منك ما حرم الله تعالى"[2]

وهذه منَّة من الله على موسى ، بأن وفقه للجمع بين خصلتين عظيمتين : القوة ، والأمانة ؛ فالقوة الجسمية واضحة في حياته السابقة ، عندما ضرب القبطي بوكزة فقضى عليه ، وعندما رفع الحجر الكبير الثقيل ، وأزاحه عن فم البئر ، ورعيه للغنم مدة عشر سنين ، والأمانة : قوة معنوية ، وهي قوة النفس والروح ، قوة الإرادة والعزيمة ، قوة التحلي بالأخلاق الحميدة ، فقد كان أمينا على العرض والشرف ، وعلى المال والغنم ، وعلى بيت الرجل[3] .

وهكذا تكشف لنا الآيات القرآنية ، عن عظمة هذا النبي الذي عاش حياتين ؛ الحياة الأولى في مصر ، حيث تربى وترعرع في قصر فرعون ، والحياة الثانية والتي هاجر فيها خائفا إلى مدين ، وعاش فيها مدة من الزمن ، ومن ثم رجع إلى مصر على قدر من الله ، ليُخْرِج بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ، وينهي حالة الإذلال والعبودية التي يلاقونها من الطاغية فرعون ، الذي أذله الله بإغراقه في اليم هو وجنوده .

في كل هذه الأحداث والفتن التي عاشها موسى عليه السلام وواكبته طيلة حياته ، يلمع لنا جانب الخير في حياة هذا النبي الكريم ، الذي وظف كل ما أعطاه الله من نعم لخدمة الآخرين ، ونصرة المستضعفين .

---

[1] - عن ابن مسعود قال : أفرس الناس ثلاثة : العزيز ... والتي قالت وأبو بكر حين تفرس في عمر رضي الله عنهما . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم . الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري : **المستدرك على الصحيحين** ، تحقيق : حمدي الدمرداش محمد ، (الرياض:مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط2 ، 1427ه – 2006م) ، كتاب التفسير ، باب 12 ، حديث رقم 3320 ، 1247/4 .

[2] - السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر : **الدر المنثور** ، (بيروت: دار الفكر ، 1993م) ، 404/6

[3]- انظر: الخالدي ، صلاح : **القصص القرآني** ، (دمشق:دار القلم ، ط2، 1428هـ- 2007م) ، 340/2 .

ثانيا : القوة في شخصية ذي القرنين

قال تعالى : { وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا }(الكهف:83-85) .

ذو القرنين : هذا لقبه وصفته ؛ لأنه ربما كان في تكوينه عند ولادته ذا قرنين ، أو يلبس تاجاً له اتجاهان؛ أو لأنه بلغ قرني الشمس في المشرق وفي المغرب[1] .

" وقد ذكر الله تعالى ذا القرنين ، وأثنى عليه بالعدل ، وأنه بلغ المشارق والمغارب ، وملك الأقاليم وقهر أهلها ، وسار فيهم بالعدل"[2] .

قال تعالى مثنيا ومادحا لذي القرنين : {سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا } ، وهذا شرف كبير ما بعده شرف ، أنَّ الحق تبارك وتعالى يتولّى التأريخ لهذا الرجل ، ويُؤرّخ له في قرآنه الكريم الذي يُتلَى ويُتعبَّد به إلى يوم القيامة والذي يُتحدّى به، ليظل ذِكْره باقياً بقاء القرآن، خالداً بخلوده، وفي هذا إشارة إلى أن فاعل الخير له مكانته ومنزلته عند الله ، ومُجازىً بأنْ يُخلّد ذكره ، ويبقى صيته بين الناس في الدنيا[3].

ويخبرنا القرآن الكريم في الآيات السابقة أن الله تعالى أمده وهيأ له جميع الأسباب ليحقق ما يريد من نصر وخير ، وليدفع عن المستضعفين كل شر وسوء ، فجعله صاحب نفوذ وسلطان في جميع أقطار الأرض ، قال تعالى : { إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ } ، " أي بسطنا يده فيها وقويناه[4]. قال تعالى :{ وآتيناه من كل شيء } ، " أي : يحتاج إليه في الوصول إلى أغراضه { سبباً } أي طريقاً موصلاً إليه ، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود ، من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب { فَأَتْبَعَ سَبَبًا } ، يوصله إليه حتى بلغ ، وكذلك أراد المشرق{ فَأَتْبَعَ سَبَبًا } ، وأراد بلوغ السدين { فاتبع سبباً }"[5] . ووصل به السفر إلى أن { بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ

1- انظر : الشعراوي : **تفسير الشعراوي** ، 8974/14-8975 .

2 - ابن كثير : **البداية والنهاية**، 491/1-492 .

3 - انظر : الشعراوي : **تفسير الشعراوي** ، 8979/14-8980 .

4 - الطوسي : **التبيان الجامع لعلوم القرآن** ، 340/4 .

5 - أبو حيان : **البحر المحيط** ، 151/6 .

}(الكهف:93) ، " وهما جبلان متناوحان ، بينهما ثغرة ، يخرج منها يأجوج ومــأجوج[1] علــى بلاد الترك ، فيعيثون فيها فساداً، ويهلكون الحرث والنسل "[2] .

فطلب أهل تلك البلاد من ذي القرنين الذي توسموا فيه الصلاح ، أن يسد تلك الثغرة ، مقابل أن يجمعوا له من بينهم مالا ، ويعطونه على مساعدته لهم .

ولكن ذا القرنين قال لهم بعفة ، وديانة ، وصلاح ، وقصد للخير :{ مَــا مَكَّنِّــي فِيــهِ رَبِّــي خَيْرٌ}(الكهف:95) ، أي : إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين ، ومن المال والقوة والسلطان ، خير لي من الذي تجمعونه ، ولكن ،{ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ }(الكهف:95) ، أي: ساعدوني بعملكم ، وآلات البناء[3] .

يفهم من السياق ، أن هؤلاء القوم كانوا يملكون المال ، ولكن ينقصهم تشغيل العقول ، فــلا يوجد عندهم الخبرة والمقدرة على التخطيط ليدفعوا الأذى عن أنفسهم ، ونجد أن ذا القرنين مع ما مكــن الله لــه من الأسباب ، إلا أنه لــم يهملهم وينحيهم جــانبا ، بل طــلب منهم المعونــة والمشاركة ، ليتعودوا على العمل ، وليكون عندهم الهمة والنشاط في المســتقبل ، أن يعتمــدوا على أنفسهم ، ويقاوموا أي اعتداء عليهم .

وهكــذا يســتجيب ذو القــرنين لطلــبهم ، ويقــول لهــم :{ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا }(الكهف:95)

أي حاجزاً حصيناً موثقاً بعضه فوق بعض، مع التلاصق المتلاحم الموجب ، لئلا يميز بعضــه من بعض ، وهو أعظم من السد "[4] . قال البغوي: " فحفر له الأساس ، حتى بلغ الماء ، وجعــل حشوه الصخر ، وطينه النحاس يذاب فيصب عليه ، فصــار كأنــه عــرق مــن جبــل تحــت الأرض "[5] . ولقوته لم يستطيعوا أن يتسلقوه ، أو يصعدوا عليه ، ولم يستطيعوا أن يحدثوا فيــه فتحة ، أو يخترقوه . ولكن رغم قوة هذا السد ، أخبر الله تعالى أنه سينهدم ويسوى بالأرض عند اقتراب الساعة ، نسأل الله السلامة ، من شر يأجوج ومأجوج ، ومن جميع الشرور والأشرار .

---

[1] - يأجوج ومأجوج : هما اسمان أعجميان لقبيلتين من أولاد يافث بن نوح عليه السلام . انظر : الشربيني ، الخطيب : **السراج المنير** ، (بيروت : دار احياء التراث العربي ، ط1 ، 1425هــ - 2004م) ، 83/4 . الزحيلي ، د. وهبــة : **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، (بيروت : دار الفكر ، 1418هــ -1998م) ، 16/ 21 .

[2] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 104/3 .

[3] - انظر : **المصدر السابق** ، الجزء نفسه ، ص105 . الزحيلي ، د. وهبة : **التفسير المنير** ، 28/16 .

[4] - البقاعي : **نظم الدرر** ، 171/4 .

[5] - البغوي : **معالم التنزيل** ، 181/3 .

يقول صاحب الظلال رحمه الله ، كلاما يسطر بمداد الذهب ، وهو يصف العبد الصـالح ، ذا القرنين ، بأنه النموذج الطيب للحاكم الصالح ، وكأنه يحث الحكام فـي كـل زمـان ومكـان ، ويطلب منهم أن يحذو حذوه ، ويسيروا على طريقته ، فيقول : " وبذلك تنتهي هذه الحلقـة مـن سيرة ذي القرنين . النموذج الطيب للحاكم الصالح . يمكنه الله في الأرض ، وييسر له الأسباب؛ فيجتاح الأرض شرقا وغربا ، ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر ، ولا يتخذ مـن الفتوح وسيلة للغنم المادي ، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان ، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق ، ولا يُسخِّر أهلـها في أغراضه وأطماعه... إنما ينشر العدل في كـل مكـان يحل به، ويساعد المتخلفين ، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل ، ويستخدم القوة التي يسـرها الله له في التعمير والإصلاح ، ودفع العدوان وإحقاق الحق . ثم يُرجع كل خير يحققه الله على يديـه إلى رحمة الله وفضل الله ، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروتـه ، وأنـه راجـع إلى الله "[1] .

مما سبق نتعلم من سيرة ذي القرنين ونستفيد بعض الدروس والعبر ، والتي من أبرزها :

1- إن التمكين في الأرض نعمة عظيمة ، يهبها الله لمن يشاء من عباده ، فـإن اسـتعملها فـي الحق والخير ، وظل مقيما لحدود الله لم ينحرف عنها ، كان له النصر والغلبة والرضـوان من الله ، وإن اغتر بقوته ونسي فضل الله عليه ، كان عليه الذل والصغار من الله ، وسـوء العاقبة .
2- إن القرآن الكريم ، أبهم اسم ذي القرنين ، حتى يتأسى الناس بهذا العبد الصالح ، ويصنعوا مثل صنيعه في نشر العدل ، وإحقاق الحق ، ورد الظلم ، وإزهاق الباطل ، وما حدث لـذي القرنين يمكن أن يتكرر مع غيره ، فلا ينحصر في زمان معين ، تماما كما حدث مع أهـل الكهف ، وغيرها من القصص القرآني .
3- مهما بلغت قوة القائد ، فهو بحاجة إلى سند ودعم من غيره ، بخلاف الخالق تبارك وتعـالى ، الذي هو قوي بذاته ، مترفع عن الحاجة لعباده ، وهذا من كمال قوته وعزته سبحانه .
4- إن التعاون بين القائد والمواطنين ، أمر مهم لتحقيق الأهداف ، من إصلاح ، وإعمار ، ودفع الظلم عن العباد ، والقائد مهما كـان قويا بجيشه ، فهو بحاجة إلى تـعاون وتفاهم مع الجبهة

---

[1] - قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 2293/4 .

الداخلية حسب الحاجة ، كما وعليه أن لا يُغفِل الطاقات الكـامنة في المجتمع ، بـل عليه أن يفعِّلها حتى تتحقق الأهداف على أحسن وجه .

5- إن القائد المؤمن الذي يحتسب أجرة عمله عند الله ، ولا يُحَمِّل من يطلب منه العـون مـا لا يطيق .

6- القائد المؤمن هو الذي يعترف بفضل الله عليه ، كما قال ذو القرنين بعد انتهائه مـن بنـاء السد : { هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى }(الكهف:98) ، مما يجعله يتواضـع لله ، بخـلاف القائـد الناكر لنعم الله عليه ، فيتصرف بكبرياء وعنجهية .

7- ينبغي للقائد المؤمن أن يستفيد من الأسباب التي حوله ، فيستغل عناصر الطبيعة ويطورهـا لصالح الأمة ، فيصنع الأدوات والآلات كما فعل ذو القرنين ، الذي جمـع بـين عنصـري الحديد والنحاس القويين ، واستخرج منهما – الفـولاذ - معـدنا جديـدا صـلبا جـدا ، ذا مواصفات عالية ، بحيث يصعب على يأجوج ومأجوج أن يكسروه أو يتسلقوه .

8- مهما بلغت قوة المعادن التي يشيدها الإنسان ، فإنها لن تسـتطيع أن تقـوى أمـام أمـر الله وقدره ، كما سيحدث لسد يأجوج ومأجوج ، القوي المنيع ، حيـث سـيجعله الله ،{ دَكَّآءَ} ، أي : يسويه بالأرض .

المبحث الثاني :نماذج قرآنية لاستخدام القوة في الشر

وسأكتفي هنا بالحديث عن نموذجين . الأول : فرعون ، والثاني : قوم عاد .

أولا: القوة عند فرعون صاحب الأوتاد

قال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام ، بالذهاب لتبليغ الدعوة إلى فرعون الطاغيـــة : { ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ (النازعات:17-25) ، وقال تعالى: { وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ }(الفجر:10-14) .

إن لقب " فرعون " أطلقته الآيات القرآنية على من حكم مصر ، في فترة ولادة وبعثة نبـــي الله موسى عليه السلام .

قال السمين الحلبي : " فرعون اسم أعجمي ، يقال : كل من ملك مصـــر فهـــو فرعـــون . وقيل : كل من ملك العمالقة فهو فرعون ، كما أن كل من ملك الروم فهو قيصر ، ومـــن ملـــك الفرس كسرى ... وقد تصرَّفَتْ فيه العرب واشتقوا منه فعلا ، فقالوا : تفرعن فلان : إذا فَعـــل فِعل فرعون ، وقالوا : هم الفراعنة للعتاة "[1] .

ووردت كلمة "فرعون" في القرآن الكريم أربعا وسبعين مرة ، أحيانا تأتي لقبا لحاكم مصر ، وأحيانا تضاف لها كلمة "قوم" أو "آل" . مثل : قوم فرعون ، وآل فرعون[2].

ولقد كان فرعون حاكما ظالما ، وكان طاغية مستبدا مفسدا متكبرا ، وهو الذي أصبح مـــثلاً يضرب لـــكل صاحب شر متكـــبر عنيد ، وبلغ من عتوه وتمرده وكـــفره وطغيانه ، أنه تجاوز الحد في الطغيان ، ومكن لنفسه مكانا غير مكان العبد ، ونسي أنه بشر كباقي البشـــر ، فـــادعى الألوهية ، وفرض على قومه أن يعبدوه ، وقال لهم : { أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ } . هذه الغطـــــرسة والتجبر جـــعلته يتعامل مـــع قومه بمنتهى درجـــات الاستخفاف والاستهانة ، وعـــدم إعطـــائهم أي قيمة أو وزن ، قال تعالى حكاية عن فرعـــون : { مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا

---

[1] - السمين الحلبي : **عمدة الحفاظ** ، 219/3 .

[2] - انظر : عبدالباقي ، محمد فؤاد : **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** ، 515-516 .

سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ }(غافر:29) . هذه هي تصرفات فرعون ، وللأسف هي تصرفات كثير من الحكام اليوم، وغيرهم فيما مضى .

فبعث الله نبيه موسى عليه السلام ، بالحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة ، والآيات الظاهرة ، ليبلغ الدعوة إلى فرعون وقومه ، ويعرفهم بالإله الحق .

وقد أسهب القرآن الكريم في ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية ، في كثير من المواضع ، بعضها مطول ، وبعضها مختصر ، والتي يَظْهَرُ فيها عناد فرعون وتجبره وتكبره ، رغم الدلائل الواضحة ، والحجج والبراهين القاطعة ، على صدق دعوة موسى عليه السلام ، وهذا ما أكده القرآن الكريم ، من أن فرعون وقومه ، أيقنوا في قرارة أنفسهم ، صدق ما جاء به موسى عليه السلام ، وما منعهم من الإيمان إلا الظلم والكبر ، قال تعالى : { وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِين } (النمل:14) ، وقد أخبر القرآن الكريم عن تجبر فرعون وطغيانه ، واستعماله للقوة التي منحه الله إياها في الشر والإفساد في الأرض ، فقد وصفه القرآن بأنه صاحب الأوتاد ، الذي عاث في الأرض فساداً ، قال تعالى : { وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ }(الفجر:10) .

قال الألوسي: " وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربون أوتادها في منازلهم ، أو لأنه كان يدق للمعذب أربعة أوتاد ويشده بها مبطوحا على الأرض ، فيعذبه بما يريد من ضرب أو إحراق أو غيره "[1] .

وهناك من المفسرين من قال : بأنه " وصف بذي الأوتاد ، لأن مملكته كانت تحتوي على الأهرام التي بناها أسلافه ، لأن صورة الهرم على الأرض ، تشبه الوتد المدقوق، ويجوز أن يكون الأوتاد ، مستعاراً للتمكن والثبات"[2] .

وهذه الأهرامات الشامخة حتى هذا اليوم ، تؤكد أن فرعون وقومه ، مكنهم الله في الأرض ، وأعطاهم من أسباب القوة والمنعة ولكنهم ،{ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ}.

قال ابن كثير : " أي تمردوا ، وعتوا ، وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس"[3].

وقال صاحب الظلال : " وليس وراء الطغيان إلا الفساد . فالطغيان يفسد الطاغية ، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء . كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة "[1] .

---

[1] - الألوسي ، **روح المعاني** ، 124/30 .

[2] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ،18/ 151 . وانظر : قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 3904/6 .

[3] - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، 509/4 .

وهذا شأن كل حاكم ظالم ، فإنه لا يطغى ويتفرعن ، إلا بسند ودعم من أعوانه ، فيصبحوا جميعا كتلة واحدة ، يعيثون في الأرض فسادا ، فلا أحد يحاسبهم ، لأنهم من أنصار وأعوان الحاكم ، ومن المقربين إليه ، فيكثر الفساد ، ويعم الظلم والبلاء بين الناس ، وهذا أمر مشاهد في الماضي والحاضر .

ومن مظاهر الطغيان والفساد الفرعوني ، اضطهاده ، وإذلاله ، وتعذيبه لبني إسرائيل ، فقد أشارت الآيات العديدة في القرآن ، إلى نماذج من هذا الإذلال والتعذيب .

قال تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ }(القصص:4).

هذه الآية الكريمة تلخص بوضوح المفاسد العظيمة التي حدثت على يد فرعون الطاغية ، الذي كان زمن موسى عليه السلام ، وهي :

المفسدة الأولى : "التكبر والتجبر فإنه مفسدة نفسية عظيمة ، تتولد منها مفاسد جمة ، من احتقار الناس ، والاستخفاف بحقوقهم ، وسوء معاشرتهم ، وبث عداوته فيهم، وسوء ظنه بهم ... وأن لا يلين لهم في سياسة ، فيعاملهم بالغلظة ، وفي ذلك بث الرعب في نفوسهم ، من بطشه وجبروته ، فهذه الصفة هي أمّ المفاسد وجُمّاعها ، ولذلك قُدِّمت على ما يذكر بعدها"[2].

وفرعون لما رأى نفسه حاكما ، علا في الأرض ، ونسي أنه مخلوق عاجز ، ونسي أن الله ابتلاه بالحكم ليخدم قومه ويسعدهم ، فانتفشت نفسه ، ورأى نفسه إلها . ولا يمكن أن يكون الحاكم صالحا مصلحا ، إذا أصيب بأعراض مرض "الفرعونية" ، لأن العلو في الأرض هو أساس فساد وإفساد أي حاكم[3].

المفسدة الثانية : جَعْل أهل المملكة شيعاً وأحزابا متفرقين متعارضين ، يقرب هذا ، ويبعد ذاك ، وقد أغرى بينهم العداوة ليأمن تألبهم عليه ، وذلك فساد في الأمة ، لأنه يثير بينها التحاسد والتباغض، ويجعل بعضها يتربص الدوائر ببعض، وهكذا يذهب الزمان في المكائد والوشايات والأكاذيب ، فيكون بعضهم لبعض فتنة ، وشأن الملك الصالح ، أن يجعل الرعية منه كلها

---

[1] - قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 3904/6 .

[2] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 155/18 .

[3] - انظر: الخالدي ، صلاح : **القصص القرآني** ، (دمشق:دار القلم ، ط2، 1428هـ- 2007م) ، 266/2-267 .

بمنزلة واحدة ، بمنزلة الأبناء من الأب ، يحب لهم الخير، ويقومهم بالعــدل واللــين ، لا ميــزة لفرقة على فرقة[1] .

هذه المفسدة يطبقها أعداء الإسلام اليوم بدقة متناهية ،وقد نجحوا فيها نجاحا باهرا ، وكسبوا من خلالها مكاسب كبيرة ، أغنتهم عن الكثير من الجهود والمتاعب ، ففي كل بلــد مــن بــلاد الإسلام ، يطبق الإفساد ، حتى أصبحوا أحزابا وفرقا وجماعات متنــاحرة ، يضــرب بعضــها بعضا ، ويبغض الواحد منهم الآخر .

فعلى أهل الإسلام أينما كانوا ، أن يحذروا من الوقوع في هذه الخلافــات ، التــي تثيــر النعرات ، وتجلــب الويلات ، فالأعداء ومن والاهم من الظلمة ، يضربون على هــذا الــوتر ، ليشغلوا الناس ، ويلهونهم ، فلا تجتمع كلمتهم ، ولا يتألبوا عليهم ، ليخلوا لهم الأمر ، وتكــون لهم السيادة والهيمنة ، وكل ذلك يطبق ، وفق القاعدة المعروفة التي تقول : " فرق تسد " .

المفسدة الثالثة : { يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ } ، فبعد أن جــعل أهل مــصر فرقا وأحزابا، " يسخر صنفاً في بناء ، وصنفاً في حرث ، وصنفاً في حفر، ومن لم يســتعمله ضــرب عليــه الجزية[2] ، واستثنى طائفة ، وهم (بنو إسرائيل) ، فاستعبدها وأذلها وأهانها ، "وجعلهــا محقــرة ، مهضومة الجانب ، لا مساواة بينها وبين فــرق أخرى ، ولا عَدل في معاملتها ، بما يــعامل به الفرق الأخرى ، في حين أن لها من الحق فــي الأرض ، مــا لغيرهــا ، لأن الأرض لأهلهــا وسكانها الذين استوطنوها ونشأوا فيها "[3] .

المفسدة الرابعة : أنه { يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ } ،" أي: يذبح الذكور من بني إسرائيل ، بمجرد ولادتهم، ويترك الإناث أحياء"[4].

"وقصده من ذلك ، أن لا تكون لبني إسرائيل قوة من رجال قبيلتهم ، حتى يكون النفوذ فــي الأرض لقومه خاصة"[5] . وهذا قمة الإذلال والقهر والإفساد ، حيــث يــذبح الصــغار بمجــرد ولادتهم، من غير ذنب أو جريرة اقترفوها ، مع أن عليه أن يحفظ دمــاءهم ، ويحــرص علــى حياتهم ، ولكنه الفكر الفرعوني الخبيث ، الذي يحب سفك الدماء ، وقتل الأبريــاء ، وتخريــب البيوت ، وقهر الرجال ، وإسقاط النساء .

---

[1] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير**، 149/18 .
[2] - الزمخشري : **الكشاف** ،396/3 .
[3] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، 154/18 .
[4] - طنطاوي ، سيد :**التفسير الوسيط** ، 164/18 .
[5] - ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ،167/18 .

وختم الله الآية بقوله عن فرعــون : { إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} ، " أي الرَّاســخينَ فــي الإفسادِ، ولذلكَ اجترأ على مثل تلك العظيمة ، من قتلِ المعصومينَ من أولادِ الأنبـــياءِ علــيهم الصَّلاة والسَّلام"[1].

مما سبق ندرك أهمية ورود قصة فرعون في القرآن أكثر من مرّة ، فمرض الفرعونية مــرض خطير ومتكرر، قد يصيب الحكام والأفراد في كل زمان ومكان ، عندما يكونون بعيــدين عــن منهج السماء ، فالحاكم المؤمن ، يتحرز من هذا الداء العضال ، الذي أوقع الكثير مــن الحكــام قديما وحــديثا في سخط الله وغضبه ، وما نراه اليوم في عصرنا الحاضر من قتل وفساد وظلم وطغيان ، ما هو إلا تكرار لما حدث في السابق ، ولكن بصورة أوسع وأفظع وأشرس مما كــان في الماضي ، فوسائل التدمير الحديثة ، من طائرات حربية تحمل مئات الأطنان مــن القنابــل ، ودبابات بعيدة المدى ، وصواريخ عابرة للقارات ، وغيرها من الوسائل المدمرة ، يــدل دلالــة واضحة على أن حكام اليوم ، وخصوصا من يتصدرون قيادة العالم ، لم يعتبروا أو يتعظوا ممــا حل بفرعونهم الأكبر وجنوده ، بل سلكوا مسلكه ومشوا على خطاه ، وسوف يصيبهم ما أصــابه وأصاب جنده ، فالله لا يحب الظالمين المتكبرين ، وهذه سنة الله في الطغاة ، وإن غــدا لنــاظره لقريب .

ثانيا : القوة عند قوم عاد

(عاد) اسم لأبي القبيلة التي اشتهرت باسمه ، وقد انتسب القوم إليه ، فقيل : قوم عاد ، وهــو من ولد سام بن نوح عليه السلام[2]. وكانــت مســاكنهم بالأحقــاف بــاليمن فيمــا بــين عُمــان وحضرموت، والأحقاف هي جبال الرمل ، وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام ، كمــا قال تعالى :

{ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ}(الفجر:6-7)[3] .

---

[1]- أبو السعود : **إرشاد العقل السليم** ، 7/2-3 .

[2] - انظر : النجار، عبدالوهاب: **قصص الأنبياء** ، ص70 . ابن الجوزي : **زاد المسير** ،222/3 . القرطبي : **الجــامع لأحكام القرآن** ، 50/9 .

[3] - انظر : ابن كثير : **البداية والنهاية** ، 135/1 .

وكانوا عربا جفاة كافرين عتاة ، يعبدون الأصنام من دون الله ، وكانوا من أشد الأقوام تكذيبا للحق ، فأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام ، يدعوهم إلى الله ، وإلى إفراده بالعبادة ، والإخلاص له ، فكذبوه وخالفوه وتنقصوه ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر[1] .

قال تعالى : { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }(الأعراف:65-69) .

يقول الدكتور فضل عباس ، معلقا على هذه الآيات: " وأمام هذه الكلمات القوية الرحيمة ، وأمام هذا السمت الهادي إلى الخير، نجد القوم يصرون على الإعراض، ويمعنون في الكذب والوقاحة "[2] .

وكان هود عليه السلام ينذرهم ويحذرهم من غضب الله وعقابه ، ويضرب لهم المثل بقوم نوح عليه السلام ، ويذكرهم بنعم الله عليهم ، إذ زادهم في الخلق بسطة ، وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ، ومكّن لهم في الأرض ، وأنبت لهم الزرع ،وأغدق عليهم النعم[3].

قال تعالى : { وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ } (الشعراء:132_134) .

فبالرغم من قوة كلام هود عليه السلام ، ووعظه المتواصل لقومه ، إلا أنهم أصروا على الكفر والعناد ، وظهرت شدة قسوة قلوبهم ، كأنها حجارة ، وصرحوا بكل وقاحة ، بأن الوعظ والتذكير وعدمه عندهم سواء ، { قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } (الشعراء:136-138) . أي " ما هذا الذي

---

[1] - انظر : **المصدر السابق** ، الجزء نفسه ، ص138 .

[2] - عباس ، فضل : **قصص القرآن الكريم** (دار الفرقان:عمان ، ط1 ، 1420هـ- 2000م) ، ص204 .

[3] - انظر : النجار ، عبدالوهاب : **قصص الأنبياء** ، ص72.

جئتنا به إلا كذب الأوّلين وأحاديثهم"[1]. "أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا به يدينون ، ونحن بهم مقتدون"[2] .

والقرآن الكريم يحدثنا عن عاد ، واغترارهم بقوتهم التي استعملوها في الشر والبطش بالآخرين ، قال تعالى : { فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ} (فصلت:15) .

هذه الآية الكريمة تظهر واقع وحقيقة قوم عاد ، الذين استكبروا في الأرض بغير الحق ، واغتروا بما بين أيديهم من نعم ، وقالوا على سبيل التباهي والتفاخر والتكبر: { مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ }،أي: لا أحد أقوى منا ، فنحن في استطاعتنا أن ندفع كل عذاب ينزل بنا ، وهذا هو الشعور الكاذب الذي يشعر به الطغاة الجاهلون في كل زمان ومكان ، وقد رد الله تعالى عليهم وعلى أمثالهم ردا منطقيا حكيما يخرس ألسنتهم فقال: { أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ } ، فالله الذي أوجدهم من العدم ، هو أشد منهم بأسا وقوة ، ولكنهم لغرورهم وجهالاتهم نسوا كل ذلك، وأصروا على العناد وإنكار الحق الذي جاءت به رسلهم[3].

ثم أخبر الله تعالى ما حل بهم من عذاب ، بسبب غرورهم وتكبرهم ، فقال: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ }(فصلت:16) . قال الطنطاوي : " أرسلنا على قوم عاد ريحا شديدة الهبوب والصوت، وشديدة البرودة أو الحرارة ، في أيام نحسات أو مشئومات نكدات عليهم، بسبب إصرارهم على كفرهم ، وفعلنا ذلك معهم ، لنذيقهم العذاب المخزي لهم في الحياة الدنيا ،{ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ } أي: أشد خزيا وإهانة لهم من عذاب الدنيا "[4].

---

[1] - الطبري : **جامع البيان** ، 97/19 .

[2]- الرازي : **مفاتيح الغيب** ، 136/24 .

[3]- انظر : طنطاوي ،سيد ، **التفسير الوسيط** ، 341/7 .

[4]- **المصدر السابق** ، الجزء نفسه ، ص349 .

وصفة الغطرسة ، والشدة ، والقوة ، والبطش ، تميزت بها عاد عن غيرها من الأمم بصورة واضحة في الآيات القرآنية التي عرضت للحديث عن قوم عاد ، فإن القوة البعيدة عـن الحـق ، والمنبعثة من النفوس المعرضة المستعلية ، تصير سببا من أسباب الطغيان ، بـل مـن أخطـر أسبابه، إنها تحمل أصحابها فتنسيهم أول بدهية من البدهيات ، وهي أنهم خلقوا ليموتوا ، فبقـدر ما تجدهم يبنون في الدنيا مشيدين متفاخرين ، إنهم يهدمون من جانب آخر بنيـانهم الإنسـاني ، فيصبح البطش طبيعتهم ، والتجبر ديدنهم ، فلا تزداد قلوبهم إلا قسوة [1] .

مما سبق يظهر لنا أن قوم عاد وصلوا إلى الذروة في القوة ، وآتاهم الله ما لم يؤت أحدا مـن العالمين ، حتى أصبحوا مضرب المثل الذي يصعب أن يصل إليه أحد من الناس ، ولكـن هـذه القوة ، كانت سببا في غرورهم واستكبارهم وإعجـابهم بأنفسـهم ، { فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ } ، وهذا الاستكبار أعماهم وأصمهم عن الحق .

ونحن نرى كيف تتفاخر الدول القوية في هذا الزمان ، وتغتر بقوتها وجبروتها ، ولم تأخـذ العبرة من مصير الأمم السالفة التي كانت أكثر قوة منها وبطشا ، فأين عاد ؟ التي كان الله لهـا بالمرصاد ، فأهلكها بعد أن كانـت عـامرة بـالخيرات ، والقصـور الشـامخات ، والبسـاتين الزاهرات ، ومنحهم فوق ذلك بسطة في أجسامهم ، وقوة في أبدانهم ، ولكنهم كفروا بهذه النعم ، واستعملوها في الشر والفساد ، فصب الله عليهم العذاب ، وجعلهم أثرا بعد عين ، وهذا ليس من الظالمين ببعيد في كل زمان ومكان .

---

[1] - انظر : عباس ، فضل :**قصص القرآن الكريم** ، ص216 .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وقد أنعم علينا بتمام هذه الدراسة المباركــة ، المســتقاة من الكتاب المبارك الذي أمرنا أن نتفكر في آياته ، فقد اقتضت دعوة القرآن وهدايته أن تكــون حجته عقلية ، تقوم على النظر في آيات الله ، وبيان ما فيها من آثار القدرة الإلهية .

موضوع هذه الدراسة **القوة في القرآن الكريم** ، وهي دراسة في التفســير الموضــوعي ، لهــا مساس كبير بحياة الناس ، لأنها تدخل في جميع نواحي وشؤون الحياة . وقد عشــت مــع هــذه الدراسة كلمة بكلمة وسطرتها بقلبي وروحي وجسدي ، حتى خرجت بحمــد الله تعــالى بــأبهى وأحلى حلة ، وها نحن نصل إلى مسك الختام ، لنسجل النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها بعد هذا الجهد العظيم . وقد كانت على النحو الآتي:

أولا : ظهر لي أن المعنى اللغوي للقوة هو الشدة ، وهي ضد الضعف ، فتارة تســتعمل في القدرة الإلهية ، نحو قوله تعالى : { إن الله قوي عزيز } (الحديد : 25) ، وتســتعمل تــارة في القلب ، نحو قول الله تعالى : { يا يحيى خذ الكتاب بقوة }(مريم : 12) ، أي بقــوة القلــب ، وتستعمل تارة في البدن ، نحو قوله تعالى : { وقالوا من أشد منا قوة }(فصلت:15) ،وقوله : { فأعينوني بقوة}(الكهف:95) ، وتستعمل في المعاون من خارج ، نحو قوله تعالى : { لــو أن لي بكم قوة } (هود:80) ، وتارة في معنى القدرة ، نحو قوله تعالى : { خذوا ما آتيناكم بقوة } (البقرة : 63) وتارة بمعنى الضعف ، نحو قوله تعالى :{ تذكرة ومتاعا للمقوين }(الواقعــة : 73) .

ثانيا : ظهر لي أن المعنى الشرعي لمصطلح القوة هو ؛ أن القوة إذا كانت في حق الله تعالى فهي كمال القدرة والاستغناء ، والتأثير وعدم التأثر . وإذا كانت في حق البشر فهي : مجموعــة عوامل القدرة المادية والمعنوية لدى الإنسان .

ثالثا : وردت كلمة القوة بصيغها المتعددة في القرآن الكريم (42) اثنتــين وأربعــين مــرة ، في(25) خمس وعشرين سورة ، وفي ذلك دلالة على أهمية القوة في حياة الأمة المسلمة، سواء كانت مادية أو إيمانية.وقد جاءت هذه الصيغ (32) اثنتين وثلاثين مــرة فــي المكــي ، و(10) وعشر مرات في المدني ، مما يدل على أن حاجة المسلمين إلى القوة في العهد المكــي حاجــة ملحة ، أكثر منها في العهد المدني وفي ذلك إشارات ودلالات بيناها .

رابعا : تأكد لدي أن الحديث عن قوة الله ، ينفع أمتنا في زمان يدعي فيــه الكثيــرون أنهــم يملكون القوة والجبروت ، لإخضاع المستضعفين في الأرض ، فكان الحديث عن قوة الله تعــالى المطلقة في نصره لأنبيائه وأتباعهم ، وفي رزقه لعباده ، وحفظه للنعم ، ورعايته لعملية الترقــي

في أطوار الخلق ، وانتقامه من أعدائه في الدنيا والآخرة ، وإجابته لأدعيـــة عبـــاده المتعلقـــين بقوته المطلقة . وغيرها من المظاهر التي تدل على قوة الله وعظمته ، فالحديث عـــن كـــل مـــا مضى ينفع في تنشيط الذهنية الإسلامية ، للإدراك بأن الله هو القوي ، وأن قوة الظـــالمين دون قوة الله ، وأنها وقتية ومرحلية ، وهي إلى زوال بإذن الله تعالى .

خامسا : تناولت الدراسة ، الحديث عن القوة المعنوية القلبية وأسباب إنشائها وإيجادهـــا فـــي النفس ، والحياة العملية التي تمس حياة الأمة . فالقوى المعنوية تنشـــأ مـــن الاســـتعداد الجـــاد والملموس لتلقي الوحي وممارسته بشكل شخصي ، ثم نقله لأوساط أخـــرى مـــن أجـــل تبنيهـــا واعتمادها في جوانب الحياة المتعددة ، والحاجة ملحة عند الأمة لاكتساب هذه القوة لبناء الحيـــاة الإسلامية الراشدة ، ولإيجاد الشخصية الاعتبارية الواعية للأمة الإسلامية ومؤسساتها المختلفة . وإذا توفرت القوة المعنوية في أفراد الأمة ، وفي الشخصية الاعتبارية للأمـــة ، التـــي يجعلهـــا ترتقي في علومها ، ومعارفها ، وهيبتها بين الأمم . وتستطيع أن تواجـــه أعبـــاء هـــذه الحيـــاة واختباراتها بقوة ، وشجاعة ، وصبر ، وثبات ، فلا تضعف أمام المصائب ، أو تســـقط أمـــام الشهوات .

سادسا : ثبت لدينا أن القوة المادية وحدها وبتجريدها من التوجيهات الدينية ، تجلـــب لأهلهـــا الدمار والبوار ولا يثبت لها قرار، بل هي أوهن من بيت العنكبوت، وسرعان ما تضعف وتهوي مهما طالت وعلت .

سابعا: ظهر لنا أن القوة المادية ، لا تقتصر فقط على القوة المادية للبشر ، بل هنـــاك قـــوى أخرى ، مثل قوة الملائكة ، وقوة الجن ، وهذه المخلوقات لها وجود ، ولها أثر ، ولها وظـــائف تُؤديها ، ومن أجل ذلك ، فلا شك أنها تتمتع بقوى مادية تتناسب مع وظائفها ومهامها الفطريـــة والمكتسبة .

ثامنا: والبحث تناول الحديث عن أسباب القوة ومصادرها ، وهذا الأمر مطلب مهـــم لتأســـيس الكيان الإسلامي الذي يقوم على البناء الذاتي لأبناء الأمة ، وبناء الأسس لأمة قويـــة ، قـــادرة على مواجهة التحديات واجتياز الصعاب . لذلك نجد الآيات قد وجهت الأمة إلى الاعتصام بالله وكثر التوبة والاستغفار ، والاجتماع وعدم التفرق ، والمشورة ، والصبر ، واليقـــين ، وإفـــراغ القلب من الهموم والمشاغل ، وإعداد القوة المستطاعة ، وتوظيف الطاقات والمعادن الكامنة في الأرض ، من أجل الوصول بالأمة الإسلامية إلى أرقى مستوياتها المادية والدعوية ، علما بـــأنّ تماسك الأمة ، وأخذها بأسباب القوة ، يجعلها متفائلة بمستقبل واعد للدين الإســـلامي العظـــيم ،

ولأتباعه المؤمنين به . وبرسالته العالمية التي تحمل الهداية والرحمة والسعادة للبشر في هذه الدنيا وفي الآخرة .

تاسعا : كما أن البحث شمل آثار القوة على آخذيها ، فمن الطبيعي أن تتعدد الأهداف لامتلاك القوة عند البشر ، تمشيا مع الخلفية الفكرية التي يعتمدونها . فالمسلمون الذين يهتدون بهدي القرآن ، نجد أن الآيات توجههم لاعتماد القوة من أجل حماية الدين والأمة ، من الأشرار والأعداء الذين يُغيظهم أن تكون للمسلمين قوة وعقيدة تخالف عقائدهم ، فالقوة عند المسلمين لردع الأعداء ، وليس من أجل الاعتداء على أحد ، كما أن هذه القوة يوظفها الحكام لأجل الرحمة بالمسلمين ولرفاهيتهم والغلظة على الكافرين . وهكذا تكون القوة دافعا للتضحية في سبيل الله ، وفي سبيل دينه وأمة الإسلام .

عاشرا : تأكد لدينا أن الذين يستعملون القوة في الشر ، إنما يستعملونها لإشباع غرائزهم وغرورهم الذي لا حدود له ، فهم يغترون بكثرة العدد والعدة ، ويغترون بالمال ، ولكنَّ هؤلاء لا يعتبرون من الأمم الأخرى التي اعتمدت على القوة ، فأهلكت الحرث والنسل ، فكانت العاقبة هي سقوط أولئك المغرورين من عليائهم واستكبارهم ، كما هو الحال في الأوقات الحالية ، حيث نشهد سقوطا مريعا ، لمن أرادوا أن يجعلوا القوة متكأً يتكئون عليه ، لأجل استعباد الشعوب المستضعفة ونهب خيراتها .

حادي عشر : تمخضت الدراسة عن ذكر أربعة نماذج تاريخية ممن وهبهم الله القوة ، وكيف استخدموا تلك القوة حسب منطلقاتهم العقدية ، وهذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر ، فالدراسة تناولت نموذجين من الذين استخدموا القوة في الخير .

النموذج الأول هو نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ، الذي وظف قوته للدفاع عن المظلومين ، كالإسرائيلي الذي استغاث به فأغاثه ، وابنتي شعيب اللتين سقى لهما أغنامهما من دون مقابل .

والنموذج الثاني هو ذو القرنين الذي حدثنا القرآن عنه ، أن الله تعالى قد أعطاه الكثير من أسباب القوة ، فاستعملها في عقاب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين ، وكيف أنه ساعد أهل السدين ، ببناء سد عظيم لا يخترق ، ولا يهدم إلا إذا جاء أمر الله ، وهكذا يكون السلوك القويم في استعمال القوة وتوظيفها في الأهداف المطلوبة .

ثاني عشر : كما وتناولت الدراسة نموذجين من الذين استخدموا القوة في الشر ، هما : فرعون الذي طغى وبغى وارتكب المجازر في حق المؤمنين والمستضعفين من بني إسرائيل، فكانت نهايته مأساوية ، وخاتمته سيئة ، لأنه لم يستعمل القوة في محلها المناسب . والنموذج

الثاني : هم قوم عاد الذين وهبهم الله القوة المادية ، فلم يحفظوا هذه النعمة ، ولـــم يشـــكروا الله عليها ، ولم يجعلوها في الأهداف السامية ، إنما استعملوها لأجل تكـــوين كبريـــائهم ، وتعـــذيب المؤمنين ، والاستهزاء بآيات الله ، فأخذهم الله بعذاب شديد ، ولم تشفع لهم قوتهم العاتيـــة ، لأن القوة مصدرها الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى قادرٌ على أن يُضعِف هؤلاء المتكبـــرين ، أو أن يجردهم من تلك القوة ، أو أن يهلكهم نهائيا ، فكان علينا أن نعتبر ونتعظ من قصص الأولـــين ، وأحداث الآخرين ، حتى نستمد القوة من تعاليم الإســـلام العظـــيم ، وأن نوظفهـــا فـــي مكانهـــا المناسب ، بناءً على توجيهات الآيات واجتهادات العلماء .

ثالث عشر : يجب علينا معشر المسلمين اليوم ، أفرادا وجماعات ، حكاما ومحكومين ، فـــي فلسطين وفي كل مكان من أقطار العالم الإسلامي ، أن نكون أقوياء أعزاء ، وأن نتسلح بســـلاح القوة الحقيقية ، ونجمع ما نستطيع من عناصر هذه القوة ، وأن نستعملها في الخيـــر ، ونتأســـى بموسى عليه السلام ، وبذي القرنين ، وغيرهم ، الذين نشروا الخير ، وضربوا أروع الأمثلة في توظيف القوة فيما يحب ربنا ويرضى ، لترتفع راية الحق خفاقة عالية ، ولتكون كلمـــة الله هـــي العليا ، وينتصر دين الله.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن أبي العز ، علي بن علي بن محمد ، ت722هـ : **شرح العقيدة الطحاوية** ، الرياض : مكتبة أضواء السلف ، ط1 ،(1423هـ - 2002م) .
2. ابن تيمية ، أبو العباس أحمد عبدالحليم ، ت 728هـ: **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير** ، تحقيق : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، مكتبة ابن تيمية ، ط2 .
3. ابن جزي ، محمد بن أحمد الغرناطي ، ت741هـ: **التسهيل لعلوم التنزيل** ، لبنان : دار الكتاب العربي ، ط4(1403هـ -1983م) .
4. ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمد، ت597هـ : **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**، بدون معلومات نشر .
5. ___________: **زاد المسير في علم التفسير** ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط3 ، (1404هـ) .
6. ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي، ت354هـ : **صحيح ابن حبان** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط2 ،(1414هـ) .
7. ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي ، ت852 : **تقريب التهذيب** ، تحقيق : محمد عوامة ، سوريا : دار الرشيد ، ط1 ،(1406هـ- 1986م) .
8. ___________ : **تهذيب التهذيب** ، بيروت : دار الفكر ، ط1 ،(1984) .
9. ___________ : **لسان الميزان** ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط3 ، (1996م) .
10. ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، ت241هـ : **مسند أحمد** ، القاهرة : مؤسسة قرطبة .
11. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : إحسان عباس، بيروت : دار صادر.

12. ابن رجب الحنبلي ، أبو الفرج زين الدين عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي : الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدي الساعة ، بدون معلومات نشر
13. ابن عاشور ، محمد الطاهر ، ت 1393هـ : **التحرير والتنوير**، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع.
14. ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبدالله ، ت543هـ : **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، بيروت: دار الفكر .
15. ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق ابن غالب ، ت 546 : **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1 ، (1413هـ - 1993م).
16. ابن فارس، أحمد بن حبيب الرازي ، ت 395ه: **معجم مقاييس اللغة** ،بيروت: دار الجيل ، ط1 ،(1991م) .
17. ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ت751هـ : **عدة الصابرين** ، بيروت:دار التراث العربي،(1980م) .
18. ــــــــــــــ: **مدارج السالكين** ، تحقيق: رضوان جامع رضوان ، القاهرة : مؤسسة المختار ، ط1 ،(1422هـ).
19. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت774هـ : **البداية والنهاية** ، بيروت : دار المعرفة ،ط7 ،(1422هـ- 2002م) .
20. ــــــــــــــ : **تفسير القرآن العظيم** ،(المنصورة : دار الإيمان ، ط1 ، 1996م).
21. . ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد ، ت275هـ: **سنن ابن ماجة** ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، بيروت : دار الفكر .
22. ابن منظور ، جمال الدين محمد الأفريقي المصري، ت 711 ه : **لسان العرب** ، بيروت : دار صادر ، ط3 ،(1994م).
23. أبو البقاء ، أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، ت1094هـ: **كتاب الكليات** ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، بيروت :مؤسسة الرسالة ،(1998 م).

24. أبو حيان ، محمد ابن يوسف ، ت745 هـ : **البحر المحيط** ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، بيروت : دار الكتب العلمية ط1 ،(1422هـ - 2001م).

25. أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت275هـ : **سنن أبي داود** ، تحقيق : محمد محيي الدين ، بيروت : دار الفكر .

26. أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ت951هـ : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم** ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

27. الأحمد نكري:القاضي الفاضل عبد النبي بن عبد الرسول :**موسوعة مصطلحات جامع العلوم**"الملقب بدستور العلماء" ، بيروت:مكتبة لبنان ناشرون ،ط1 ،(1997).

28. الأشقر ، د.عمر سليمان : **صحيح القصص النبوي** ، عمان : دار النفائس ، ط2 ، (1418هـ - 1997م) .

29. الألوسي ، أبو الفضل ، شهاب الدين محمود البغدادي ،ت1270 هـ : **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

30. البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، ت256هـ :**الجامع الصحيح** ، تحقيق : مصطفى البغا، بيروت : دار ابن كثير /اليمامة ، ط3،(1407هـ/1987م).

31. بدران ، عبدالقادر بن أحمد : **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار ، المستخرجة من كلام العزيز الجبار** ، تحقيق : زهير الشاويش ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط1،(1420هـ).

32. البغوي ، أبو محمد ، حسين بن مسعود الفراء ، ت516هـ :**معالم التنزيل** ، تحقيق : خالد العك ومروان سوار ، بيروت : دار المعرفة ، ط2 ،(1987).

33. البقاعي ، برهان الدين، ت885هـ : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ،بيروت : دار الكتب العلمية ، ط3 ،(2006م – 1427هـ) .

34. البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، ت685: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، بيروت : دار الفكر .

35. الترمذي ، أبو عيس محمد بن عيسى ، ت279 : **سنن الترمذي** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

36. التهانَوي، محمد علي : **كَشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم** ، تحقيق : د. علي دحروج ، بيروت : لبنان ناشرون ، ط1 ،(1996).
37. الجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، ت816هـ : **التعريفات** ، تحقيق : د. محمد عبدالرحمن المرعَشلي ، بيروت : دار النفائس ، ط2 ،(1428هـ - 2007م) .
38. الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ، ت370هـ : **أحكام القرآن** ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ،(1405هـ) .
39. الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري : **المستدرك على الصحيحين** ، تحقيق : حمدي الدمرداش محمد ،الرياض:مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2 ،(1427هـ – 2006م) .
40. الخالدي ، صلاح : **القصص القرآني** ، دمشق:دار القلم ، ط2،(1428هـ- 2007م) .
41. الذهبي ، محمد بن أحمد ، ت748هـ : **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 ،(1995م) .
42. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ت604هـ: **مفاتيح الغيب** ،بيروت: دار الكتب العلمية، ط1 ،(1421هـ).
43. الرازي ، محمد بن أبي بكر : **مختار الصحاح** ، القاهرة : دار الحديث .
44. الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل ، ت 503 هـ ، **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ،بيروت : دار الكتب العلمية ،(2004م) .
45. ___________ ، **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، بدون معلومات نشر .
46. رضا ، محمد رشيد : **تفسير المنار** ، تحقيق : فؤاد سراج عبدالغفار ، القاهرة : المكتبة التوفيقية .
47. الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، ت 311هـ : **معاني القرآن وإعرابه** ، تحقيق : د.عبدالجليل عبده شلبي، القاهرة : دار الحديث ،ط2،(1997م).
48. الزحيلي ، د. وهبة : **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، بيروت : دار الفكر ،(1418هـ -1998م) .

49. ___________ ، بيروت : دار الفكر ، ط1 ،(1427هـ -2006م) .
50. الزِرِكْلي ، خير الدين : **الأعلام** ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط:17 ،(2007م) .
51. الزمخشري، محمود بن عمر ، ت 538هـ: **الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، بيروت :دار الكتب العلمية ، ط2 ،(2003).
52. السجستاني ، أبو بكر بن محمد بن عُزَيْز ، ت330هـ : **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز** ، تحقيق : د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي ، بيروت : دار المعرفة ، ط1، (1410هـ _1990م) .
53. السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تحقيق: ابن عثيمين، بيروت : مؤسسة الرسالة ،(1421هـ- 2000م).
54. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد ، ت367هـ : **بحر العلوم** ، تحقيق : د.محمود مطرجي ، بيروت : دار الفكر.
55. السمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد ، ت489هـ: **تفسير السمعاني** ، الرياض:دار الوطن ،ط1 ،(1418هـ) .
56. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف ، ت 756ه : **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط1 ،(1996م) .
57. السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر : **الدر المنثور** ، بيروت: دار الفكر ،(1993م) .
58. الشربيني ، الخطيب : **السراج المنير** ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ط1 ، (1425هـ - 2004م) .
59. الشعراوي : محمد متولي : **تفسير الشعراوي** ، القاهرة :أخبار اليوم ، (1991 م).
60. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار ، ت1393هـ: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، بيروت : دار الفكر للطباعة،(1415هـ) .
61. شهاب الدين ، أحمد بن محمد ، ت518هـ : التبيان في تفسير غريب القرآن ، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي ، القاهرة : دار الصحابة للتراث ، ط1،(1992م) .

62. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ،1250 هـ : **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، بيروت: دار الفكر.

63. الصابوني ، محمد علي : **صفوة التفاسير** ، القاهرة : دار الصابوني ، ط9.

64. الصاوي ، أحمد بن محمد الخلوتي ، ت1241هـ: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين ، تحقيق : محمد بن عبدالرحمن المرعشلي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط1 ،(1419هـ -1999م).

65. الصوفي ، ماهر أحمد : **آيات العلوم الأرضية** ، بيروت : المكتبة العصرية ، ط1 ، (2007م-1428هـ).

66. الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن،548 هـ : **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، صيدا : ألعرفاني ،(1354 هـ).

67. الطبري، محمد بن جرير ، ت310هـ : **جامع البيان في تأويل آي القرآن** ، بيروت : دار الفكر، ط1،(1405هـ).

68. طنطاوي ، محمد سيد : **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،(1997م).

69. الطوسي ،أبو جعفر محمد بن الحسن ، 460هـ: **التبيان في تفسير القرآن** ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

70. عباس ، فضل : **قصص القرآن الكريم** ، دارالفرقان:عمان ، ط1 ،(1420هـ-2000م).

71. عبد الباقي ، محمد فؤاد:**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، (القاهرة : دار، الحديث ، ط1 ، 1996) .

72. الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، ت 505هـ : **إحياء علوم الدين** ، بذيله كتاب المغني عن الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لزين الدين العراقي ، الدار البيضاء .

73. الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت817هـ : **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، تحقيق : محمد علي النجار ،القاهرة ، ط4 ،(1425هـ -2005م).

74. القرطبي ، أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر ، ت671هـ : **الجامع لأحكام القرآن** ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني ، القاهرة : دار الشعب ، ط2 ،(1372هـ) .

75. قطب، سيد ، ت1386هـ: **في ظلال القرآن** ، القاهرة وبيروت : دار الشروق، ط17، (1992م).

76. الكبيسي، د. أحمد : "**برنامج الكلمة وأخواتها** : **منظومة الأيد** " ، 2006م ، http://www.islamiyyat.com/kalema.htm.

77. الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، 450هـ: **تفسير النكت والعيون** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط2 ،(1428هـ -2007م).

78. المحلي والسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر وجلال الدين محمد بن أحمد ، ت 911هـ : **تفسير الجلالين** ، القاهرة : دار الحديث ،ط1 .

79. المراغي ، أحمد مصطفى : **تفسير المراغي** ، بيروت : دار الفكر، ط1 ، (1421ه – 2001م) .

80. مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ،ت261 : **الجامع الصحيح** ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي.

81. ___________: **الجامع الصحيح بشرح النووي** ، بيروت :دار إحياء التراث العربي، ط2،(1392هـ).

82. ____________: **الكنى والأسماء** ، تحقيق : عبدالرحيم القشقري ، المدينة المنورة : الجامعة الاسلامية ، ط1 ،(1404هـ) .

83. مصطفى ، إبراهيم وآخرون : **المعجم الوسيط** ، القاهرة ،ط 2 ،(1972م) مادة شدد.

84. النجار ، زغلول راغب: **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم** ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ط1 ،(2007م).

85. النسفي ، عبدالله بن أحمد ، ت710هـ : **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، تحقيق : مروان محمد الشعّار ، بيروت : دار النفائس ، ط2 ،(1426هـ - 2006م) .

86. النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد القمي ،ت728هـ: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ،بيروت:دار الكتب العلمية ،ط1 ،(1416هـ).

87. الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، ت468هـ : **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دمشق – بيروت : دار القلم – الدار الشامية ، ط1 ، (1415هـ).

88. وجدي ، محمد فريد : المصحف المفسر ، القاهرة : دار النهضة ، ط6 ،(1372هـ - 1953م) .

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Strength in the Holy Quran

By

Raed abd Al-Raheem assi

Supervised by

Dr.Odeh Abdullah

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement for the Degree of Master in Religion, at An-Najah National University. Nubles , Palestine .

2009

Strength in the Holy Quran

Prepared by
Raed abd Al-Raheem Assi
Supervised BY
Dr. Oudeh Abed Allah

Abstract

The study subject is the strength in the Holy Quran which occupy an important role in the humane life because it enters all aspects of life. The strength is the same in all languages which means the ability, bower and growth, to do everything. The strength is against the weakness.

This study is identifying the meaning of the strength and its denotative meaning in the Quran in addition to its closest meaning in the Holy Quran. Also, it is identifying the mighty of Allah in the world that the majority claimed that they have a power to the weak.

Moreover, it aims to identify the material and non- material objects to create the intellectual power so as to encounter the chaos and disorders. The strength is not only in the body, but also it is spiritual, moral, psychological and massive strength we need along with the material strength

Finally, the study identifies the elements of the real strength which enable the nation to reach the top of dignity, honor and governing the world . These elements enable us to know the righteous uses of the strength which cause the bad results upon the vicious who missed the right uses of it throughout presenting the historical patterns of the Quran narration.